



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

# مجلة معها المخطوطات العربية

الجزء الثاني

المجلد السادس والعشرون

المحرم ١٤٠١ هـ

نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٨٠ م



المخطوطات العربية في العالم

## بعض مخطوطات مكتبة الأوقاف

بطرابلس - ليبيا

بقلم د. محمد رسي الخولي

في عام ١٩٧٢ قمت بزيارة للجمهورية العربية الليبية - وهو آنذاك -  
موفداً من المعهد لاستطلاع المخطوطات في مكتباتها .

وقد استغرقت هذه المهمة شهراً ، وقمت فيه بالطواف على مكتبات  
طرابلس وبنغازي ، واطلعت فيها على المخطوطات العربية التي تحظى من  
المسؤولين هناك بالعناية الكبيرة والاهتمام .

وبالطبع فقد كنت أقوم بتسجيل أسماء بعض ما أراه في كل مكتبة من  
مخطوطات تبياناً لما في المكتبة من المخطوطات في شتى الفنون ، ولكنني  
لم أقم بحصرها حصر استقصاء ولا قريباً منه .

وقد وجدت من المفيد هنا أن أنشر هذا الذي قيدته ، متبدئاً بما سجلته  
من مكتبة الأوقاف بطرابلس ، على أن أنشر ما سجلته من مكتبة جامعة  
بنغازي في عدد تال إن شاء الله .

- التفسير  
الرقم الخصوصي
- ١ - مجموعة العبد الذليل على ربيع أنوار التنزيل ١٢
  - ٢ - معالم التنزيل في تفسير القرآن الجليل لأبي محمد الحسن بن مسعود الهنوي (جزءان نيسخ ١٠١) ١٩ - ٢٠
  - ٣ - نسخة أخرى ٥٠
  - ٤ - لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (نسخ ١١٠٤) ٧٠ ، ٦٩
  - ٥ - فتوح الغيث ، حاشية على الكشاف للطبي ٧٩
  - ٦ - التمييز لما أودع الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز لعمر بن محمد الوكعي ٨٠
  - ٧ - حاشيته على البيضاوي لسعد جلبي (خط ٩٠٩) ٨٢
  - ٨ - نبذة من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٨٦
  - ٩ - حاشية على الكشاف لسعد الدين التفتازاني ٨٧
  - ١٠ - الأسئلة الحسنة المنتخبة والأجوبة المستجسنة الملتقطة لأبي محمد عبد الوهاب النيسابوري ٩٠
  - ١١ - الاغفال في إعراب القرآن لأبي علي الفارس (خط ٦٧١ هـ) ٩٤
  - ١٢ - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ٩٦
  - ١٣ - حاشية على تفسير البيضاوي لشيخ زادة ١٣٤
  - ١٤ - تفسير سورة الفاتحة للشيخ محمد قاجة الطرابلسي ١٥٥
  - ١٥ - « القرآن » « » « » ٨
  - ١٦ - « » « » للشيخ الفاسي ١٢

- الحديث
- الرقم الخصوصي
- ١٧ - الموطأ للإمام مالك - بلا تاريخ
- ١٨ - الخصائص الكبرى للسيوطي
- ١٩ - الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري للكرمانى
- ٢٠ - مشكاة المصابيح لولى الدين أبى عبد الله الخطيب
- ٢١ - كتاب التوشيح تعليق على صحيح البخاري للسيوطي
- ٢٢ - الإصابه فى تمييز الصحابة (٦ أجزاء) من ١١٠-١١٤
- ٢٣ - نبتة فى الألفاظ السنية والأنوار السنية لأبى القاسم محمد بن جزى الغرناطى
- ١٤١
- ٢٤ - الكوكب المنير فى شرح الجامع الصغير لشمس الدين محمد العلقمى
- ١٤٧
- ٢٥ - البدر المنير فى غريب أحاديث البشر النذير للشعرانى
- ١٥٧
- ٢٦ - التيسير بشرح الجامع الصغير لعبد الرؤف المنلوى
- ١٦٢
- ٢٧ - حاشية على صحيح البخارى لسيدى أجمه الزروق
- ١٦٤
- ٢٨ - كتاب فى تفسير غريب الحديث للخطاى
- ١٦٨
- ٢٩ - الجزء الثانى من جامع العلوم والحكم فى شرح ٥٠ حديثاً من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن البغدادى
- ١٧١
- ٣٠ - الجزء الأول من مسند الأنصار لأحمد بن حنبل
- ١٧٣
- ٣١ - مشارق الأنوار النبوية فى صحيح الأخبار المصطفوية للحسن بن محمد الصغانى
- ١٨١
- ٣٢ - شرح الأربعين حديثاً فى ترك الظلم جمع الشيخ الجوهري الخالدى شرح محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعى
- ١٨٣
- ٣٣ - مجموعة تحتوى على فوائد مختلفة منها الشاغل لعدة مؤلفين
- ١٨٤
- ٣٤ - جواهر الكلام فى الحكم والأحكام لعبد الواحد بن محمد الأمدى (خط ٩٨٧)
- ١٩٣
- ٣٥ - التنقيح شرح الجامع الصحيح للزركشى
- ٢١٩

- ٢ - ٣٦ - حاشية على التفسير لعبد الواحد بن محمد بن أبي السداد  
٣ - ٣٧ - غيث النفع في القراءات السبع لعلي النوري الصفاقسي  
٣٨ - شرح الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع لعبد الرحمن  
٩ ابن محمد الفاسي  
١١ - ٣٩ - القول النافع في قراءة الإمام نافع لمجهول  
٤٠ - قرة العين في الفتح والإمالة بين اللفظين لابن القاصح  
١٢ العذري  
٢١ - ١٤١ - التيسير في قراءة السبع لأبي عمرو الداني

### التوحيد

- ٢ - ٤٢ - شعب الإيمان لعبد الجليل بن موسى القاضي  
٨٦ - ٤٣ - عيون المناظرات لمجهول

### التصوف

- ٤٤ - مناقب سيدي عبد السلام الفيتوري للشريف المكي  
٧٣ عبد الرحمن بن علي  
٤٥ - مكارم الأخلاق ، وبهامشه الوسيلة العظمى في شمائل  
٤٩ المصطفى للطبرسي  
٨٣ - ٤٦ - شرح حكم ابن عطاء الله للتنزي  
٨٤ - ٤٧ - كشف الأسمار عما خفي عن الأفكار للأقفهسي  
٨٦ - ٤٨ - طهارة القلوب للدريبي  
٩٢ - ٤٩ - در الإسلام لمجهول  
٩٧ - ٥٠ - الرقص والوقص لمستحل الرقص للحلبي  
٥١ - روضة العلماء ونزهة الفضلاء للحسين بن يحيى البخاري ،  
١٠٣ مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين لليافعي

الرقم الخصوصي

- ١٠٨ ٥٢ - الجزء الثاني من الرغبة والترهيب المنذرى  
١٣٤ ٥٣ - التذكرة في الوعظ لأبن أبي الدنيا  
٥٤ - إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عطاء الله ومعه  
١٣ الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة  
١٧٠ ٥٥ - شرح مقدمة ابن رشد للتتائي  
١٧١ ٥٦ - شرح أسماء الله الحسنى للغزالي

كتب شتى

- ١٢ ٥٧ - حياة الحيوان الصغرى للدميرى  
٥٨ - كتاب في علم الخيل لناصر الدين محمد معلم الخيل  
١٣ الشهر بالحرى  
١٤ ٥٩ - كتاب الفلاحة لابن العوام  
٣٦ ٦٠ - المرقبة العلياني تفسير الرؤيا لمحمد بن عبد الله راشد البكري  
٣٩ ٦١ - كتاب في اختلاج الأعضاء لجعفر الصادق  
٤٠ ٦٢ - تحفة العروس ونزهة النفوس للتيجاني  
٤٢ ٦٢ - قرعة الطيور لمجهول  
٤٤ ٦٤ - كتاب فآل هرون الرشيد لعبيد الله بن عميد الأنس المنجم  
٥٠ ٦٥ - تعليم المتعلم لبرهان الدين الزريرى

التاريخ

- ٥ ٦٦ - مختصر الجمال في أخبار أهل الزمان للشبطينى  
٦ ٦٧ - وفيات الأعيان لابن خلكان (نسخه حديثة)  
٨ ٦٨ - تاريخ الخلفاء للسيوطى  
٩ ٦٩ - سياسة الملوك لابن الحضرمى  
١٨ ٧٠ - سير النبلاء للذهبي ج ٢٠  
٣٣ ٧١ - تاريخ الإسلام ج ١٠

الرقم الخصوصي

- ٧٢ - تاريخ من سنة ٦١٥ إلى ٨٨٣ للزرکشی ٨٣  
٧٣ - الاكتفاء في سيرة الخلفاء للکردبوسى ٧٩ ، ٧٨  
٧٤ - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزرکشی ٦٤  
٧٥ - رحلة التيجاني ٩٠  
٧٦ - كتاب في التاريخ لمجهول ٣٠٨  
٧٧ - التذكار فيمن ملك طرابلس وكان بها من الأخيـار  
لابن غلبون (نسخ ١٠٣٩) ٢٣٨

القفة المالكي

- ٧٨ - مواهب الجليل بحل ألفاظ مختصر الشيخ خليل لعلى  
الأجهورى (نسخ ١١٤٣ هـ) ٣٩  
٧٩ - المواهب الجليلة المستنبطة من كلام كل جليل ليتيسر  
بها حل ألفاظ الشيخ خليل لمحمد بن عبد الله الخرشى  
(سنة أجزاء) من ٥٣-٤٨  
٨٠ - الإلتقان والأحكام في شرح تحفة الحكام لمحمد ميارة ٦٣  
٨١ - الشرح والتقريب في إيضاح ما أشكل من مسائل التهذيب  
للشيخ أبى سعيد خلف البرادعى تأليف أبى سعيد خلف  
بن محمد المعافرى ٦٦، ٦٥  
٨٢ - حاشية على شرح الزرقانى على المختصر للشيخ محمد  
البنانى (نسخ ١١٨٤ هـ) الجزءان ٣ ، ٤ ٩٥، ٩٤  
٨٣ - مفيد الحكام في نوازل الأحكام لأبى الوليد هشام بن  
عبد الله الأزدي ١٠٠



الرقم الخصوصي

- ١٢١ ٨٤- شرح مسائل البيوع للشيخ ابن جماعة التونسي لأحمد  
ابن القاسم القباب (نسخ سنة ١١٨٣ هـ)
- ١٢٤ ٨٥- رسالة في بيان أراضى الخراجية والعشرية والمملكة  
لأحمد الرومي الآقحصاري
- ١٦٥ ٨٦- رسالة في بيان مسائل الأبنية في الجدار للمعلم محمد
- ١٢٩ ٨٧- تحرير الكلام في مسائل الالتزام لأبي عبد الله محمد  
الخطابي المغربي (نسخ سنة ١١٥٤ هـ)
- ١٣٣ ٨٨- منظومة فيما يحل أكله وما يحرم من الحيوانات والطيور  
والسماط، ويليه منظومة في إنزال سور القرآن بمكة  
والمدينة للشهاب الأقفهسي
- ١٤٠ ٨٩- تحفه الخذاق وشرح لامية الزقاق لعمر بن عبد الله الفاسي
- ١٤٢ ٩٠- الكواكب السيارة في مسامرة فقيه فاس أبي عبد الله  
ميارة ليعيش بن الداء أي الشاوي
- ٢٠٩ ٩١- برنامج الشوارد لأبي القاسم محمد بن مرزوق بن  
عظوم (نسخ سنة ١١٨٧ هـ)
- ٢٣١ ٩٢- شرح على متن القرطبية لزروق
- ٢٣٤ ٩٣- مختصر في الوثائق الشرعية لابن سلمون
- ٢٩٦ ٩٤- الاتقان والأحكام في شرح تحفة الحكام لمحمد بن  
أحمد ميارة
- ٣٠٢ ٩٥- شرح المنهج المنتخب في أصول المذهب للشيخ أبي  
العباس أحمد بن علي المنجور

الفتاوى المالكية

- ٣ ٩٦- أجوبة الشيخ الفاسي لعبد القادر بن علي بن يوسف  
الفاسي (نسخ سنة ١١٩١ هـ)

الرقم الخصوصي

٦٧ - أجوبة سحنون ( نسخ سنة ١١٢٩ هـ ) ٤

الفقه الحنفي

- ٩٨ - حاشية نتائج النظر على الدرر الغرر لنوح بن مصطفى  
١٣-١١ ( ٣ أجزاء )
- ٩٩ - شرح على الجواهر النيرة لأبي بكر بن علي الحداد لأبي  
١٤ الحسن أحمد بن محمد القدوري
- ١٠٠ - الرمز على الكنز للشيخ أحمد محمد الحمودي ٢٠ ١٥
- ١٠١ - الكافي على الوافي لعبد الله بن أحمد النسفي ١٦
- ١٠٢ - السراج الوهاج على القدوري ( ٤ أجزاء ثم جزءان  
٢١-١٧ من نسخة أخرى )
- ١٠٣ - شرح الدرر على الغرر لمحمد بن فراموز منلا خسرو ٢٢
- ١٠٤ - مجمع البحرين وملتقى النهرين ١ ٣٢
- ١٠٥ - ملتقط من علم الفقه للسمرقندي ٣٦
- ١٠٦ - الضياء المعنوي على مقدمة الغزنوي لأبي البقاء أحمد  
٣٧ بن أبي الضياء القرشي
- ١٠٧ - درر الحكام في شرح غرر الأحكام لمنلا خسرو ٤٠
- ١٠٨ - شرح الوقاية من مسائل الهداية لعبيد الله وابن مسعود  
٤١ ابن تاج الشريعة
- ١٠٩ - كتاب الآثار لمحمد بن الحسن الشيباني ( نسخ ستة  
٤٤ ٨٧٢ هـ )
- ١١٠ - المحيط بالفقه لبرهان الدين محمد بن مازة ٤٦
- ١١١ - تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزليعي ( جزء ٣، ٤ ) ٥٨-٤٧
- ١١٢ - شرح مجمع البحرين وملتقى النيرين لعبد اللطيف بن  
٤٩-٤٨ فراشة ج ٢٠١

الرقم الخصوصي

- ١١٣ - شرح على ملتقى الأبحر يسمى غواص البحار للشيخ  
٧٤ درويش محمد بن أحمد
- ١١٤ - الشرح المسمى الدر المختار على متن تنوير الأبصار  
٨٤ للحصصكني
- ١١٥ - المختار للفتاوى للشيخ ابن البلدجي نسخ سنة ٩٣٤ هـ  
١٠٨
- ١١٦ - كتاب الجواهر لطاهر بن قاسم الأنصاري الخوارزمي  
١٢١، ١٠٠ ( م ١٠٦٤ ) الأول والثاني
- ١١٧ - القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد لابن  
١٠٦ منلا فروح
- ١١٨ - الأشباه والنظائر لابن نجيم  
١٤٥

الفتاوى الحنفية

- ١١٩ - الفتاوى الهندية لمحيي الدين محمد أوزناك زيب  
٤-١ بهادر ، أربعة أجزاء
- ١٢٠ - مختصر فتاوى قارى الهداية لعبد الله بن محمد الشهر  
٣١ بأوليأزاده

البلاغة

- ١٢٢ - شرح على متن السمرقندية لأحمد الملوى  
١٧
- ١٢٣ - مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب  
١٨ المكناسي ج ١
- ١٢٤ - مختصر شرح التلخيص للتفتازاني ج ١  
٢٢ - ١٩
- ١٢٥ - حاشية على المطول للسيد الجرجاني  
٢٣
- ١٢٦ - المتن في رسم القرآن ، متن في التلخيص للقرظيني  
٢٤ شرح المتن للجرجاني

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

## التعريف بالمخطوطات

### ملاحظات حول تأليف خط المقرئ

لأستاذ أمين فؤاد سيد

يعد فن كتابة الخطوط (الطبوغرافيا) - وهو تَمَسُّط من الجغرافيا التاريخية - من الفنون التي اهتمت بها مصر الإسلامية ، فقد كتب فيه عدد كبير من مؤرخيها كانوا يمهّدون الطريق إلى الاكتمال الذي بلغه هذا الفن في مؤلف المقرئ القيم « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطوط والآثار » والمعروف « بالخطوط » (١) . وقد أحصى المقرئ أسماء هؤلاء المؤرخين وآثارهم في مقدمته الدقيقة لكتابه الخطوط .

فأول من اهتم منهم بالكتابة في خطوط مصر ، أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكيم المتوفى في فسطاط مصر سنة ٢٥٧ هـ (٢) ، إلا أن ابن عبد الحكيم لم يخص كتابه « فتوح مصر وأخبارها » كله للخطوط ، وإنما أفرد أحد فصوله فقط لوصف خطوط الفسطاط والجزيرة والإسكندرية . (٣) .

أما أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، فهو أول من أفرد مؤلفاً خاصاً عن الخطوط لم يصل إلينا ، قال عنه المقرئ : « أول من رتب خطوط مصر وآثارها وذكر أسبابها في ديوان جمعه ، أبو عمر محمد بن يوسف الكندي » (٤) . ووصل إلينا من مؤلفات الكندي كتابين هما « تسمية ولاية مصر » و « تسمية قضاة مصر » وقد نشر تحت

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ( ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم - القاهرة ١٩٦٣ ) ٣٨٥ .

(٢) راجع عنه ، Rosenthal, F., EI., art. «Ibn 'Abd al - Hakam», III, p. 696 . و « دراسات عن ابن عبد الحكيم » للفيث من الأساتذة ( القاهرة ١٩٧٥ ) .

(٣) راجع Brock.. EI., art. «al - kindi», II, pp.1879 - 1080 .

(٤) المقرئ : الخطوط ١ : ٥ .

عنوان « كتاب الولاية وكتاب القضاة » (١). وفي الكتاب نبذة يسيرة عن بعض خطط الفسطاط ومنشأها الأولى ترد في سياق الكلام (٢). ومن آثار الكندي المفقودة والتي يتناول فيها وصف خطط الفسطاط ، كتاب « أخبار مسجد أهل الراية الأعظم » وهو تاريخ المسجد الجامع الذي أنشأه عمرو بن العاص في وسط خطة أهل الراية ، وكتاب « الجند العربي » وهي من مصادر المقرئ في الخطط (٣) .

وقد درّست كثير من خطط الفسطاط قبل الاهتمام بالتأليف في الخطط ، وهي الخطط التي اختطها الناس حول فسطاط عمرو والجامع العتيق .

ومع قدوم الفاطميين إلى مصر وتأسيسهم مدينة القاهرة لتكون عاصمة لخلافهم في سنة ٣٥٨ هـ ، ازدهر نمط التأليف في الخطط على يد بعض كبار مؤرخيها ، استمروا في وصف خطط الفسطاط ، ولم يكتبوا شيئاً يذكر عن خطط القاهرة الجديدة التي كانت خاصة بالخليفة وخاصته .

فكتب أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين المعروف بابن زُولاق المتوفى سنة ٣٨٦ هـ (٤) كتابه « خطط مصر » وهو مفقود منذ زمن بعيد فلم يذكره المقرئ في مقدمته التي ذكر فيها مؤلفو الخطط المصرية ، ولكن ابن خلكان ذكر كتابه هذا وقال إنه « استقصى فيه » (٥) ، ويرى

---

(١) نشره R. Guest في مجموعة جب التذكارية سنة ١٩٠٥ .  
(٢) Guest, R., «A list of Writers, Books, and other Authorities mentioned by El - Maqrizi in his khitat», JRAS (1902) p. 114  
(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٢٩ .  
(٤) ياقوت : معجم الأديباء ٧ : ٢٢٥ - ٢٣٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ٩١ - ٩٢ ، ابن حجر : لسان الميزان ٢ : ١٩١ ، Brock., GAL SI, 230 .  
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ٩١ .

الأستاذ عبد الله عنان أن ابن زولاق ربما استقصى فيه إلى جانب خطط  
الفسطاط ، خطط العسكر ثم خطط القطائع ، بل لعله تناول أيضاً إنشاء  
القاهرة المعزية ، فيكون بذلك أول مؤرخ لخططها (١) .

ومن أهم مؤرخي العصر الفاطمي الأمير المختار عز الملك محمد بن  
عبيد الله بن أحمد المُسَبَّحِي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ (٢) ، صاحب كتاب  
« أخبار مصر » وهو أثر بالغ الأهمية بلغ عدد أوراقه ثلاثة عشر ألف ورقة  
كما يذكر ابن خلكان ، ولم يصل إلينا منه إلا الجزء الأربعون فقط ، وفيه  
بعض حوادث سنة ٤١٤ هـ وحوادث سنة ٤١٥ هـ ، ومما وصل إلينا من الكتاب  
وما نقله عنه المتأخرون يبدو أنه تناول فيه كثيراً من خطط الفسطاط  
ومعاهدها وقصورها وأسواقها ، حيث كان يقيم هو نفسه في شارع الحمراء  
على شاطئ نيل فسطاط مصر (٣) .

وفي زمن خلافة المستنصر بالله كتب أبو عبد الله محمد بن سلامة  
القضاء عيسى (٤) كتابه « المُخْتَار فِي ذِكْرِ الْخَطَطِ وَالْآثَارِ » وتوفى سنة  
٤٥٤ هـ (وفي رواية ٤٥٧ هـ) قبل سنّ الشدة المستنصرية ، يقول المقرئ  
« فذكر أكثر ما ذكر ، ولم يبق إلا يلمع وموضع بلقع بما حل بمصر من  
سنّ الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين إلى سنة أربع وستين وأربعمائة  
من الغلاء والوباء ، فمات أهلها ، وخربت ديارها ، وتغيرت أحوالها ،  
واستولى الخراب على عمَلِ قَوْقٍ من الطرفين بجانب الفسطاط الغربي والشرقي .  
فأما الجانب الغربي فن قنطرة بني وائل حيث الوراقات الآن قريباً من باب  
القنطرة خارج مدينة مصر ، إلى الشرق المعروف الآن بالرصد وأنت مار

(١) عبد الله عنان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ( القاهرة ١٩٣٢ ) ٣٥ .

(٢) راجع ، مقدمة الجزء الأربعين من أخبار مصر للمسبحي ( القاهرة ١٩٧٨ ) .

(٣) المسبحي : أخبار مصر ١٠٩ .

(٤) راجع ترجمته عند : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ : ٢١٢ - ٢١٣ ، السبكي :

طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ١٥٠ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٣ : ١١٦ ، Brock.

إلى القرافة الكبرى . وأما الشرق فن طرف بركة الحَبَس التي تلى القرافة  
إلى نحو جامع أحمد بن طولون » . (١)

« ثم دخل أمير الجيوش بدر الجمالى مصر فى سنة ست وستين وأربعمائة ،  
وهذه المواضع نخاوية على عروشها ، خالية من سكانها وأيسها ، قد أبادهم  
الوباء والتباب ، وشتتهم الموت والحراب ، ولم يبق بمصر إلا بقايا من  
الناس كأنهم أموات قد اصفرّت وجوههم وتغيرت سحنهم من غلاء  
الأسعار وكثرة الخوف من العسكرية ، وفساد طوائف العبيد والملحية ،  
ولم يجد من يزرع الأراضى ، هذا والطرق قد انقطعت بحراً وبراً إلا  
بخفارة وكلفة كثيرة . وصارت القاهرة أيضاً ياباً دائرة ، فأباح للناس من  
العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته إلى عمارة أن يعمر  
ما شاء فى القاهرة . وكان هذا أول وقت اختطّ الناس فى القاهرة » (٢) .

فالقضاعى كان اهتمامه كاهتمام سابقه بخطط مصر الفسطاط ، حيث  
كان يقيم أهل مصر جميعاً من العلماء والتجار ومختلف طبقات المجتمع  
المصرى ، فقد كانت القاهرة حتى هذا الوقت مدينة خاصة يقيم فيها  
الخليفة وحاشيته وجنده بمختلف جنسياتهم ، وكانت سنىّ الشدة العظمى  
سبباً فى خراب الفسطاط وانتقال الناس منها . حتى إن بدر الجمالى أباح  
للناس أن يعمروا ما شاء لهم فى القاهرة فكان هذا أول وقت اختطّ الناس  
فيه بالقاهرة .

وفى زمن المقرئى دثر أكثر ما ذكره الكندى والقضاعى من خطط  
مصر بسبب الشدة العظمى ، ثم بسبب حريق الفسطاط الذى كان فى سنة  
٥٥٩ هـ . « وقد كان أكثر بناء الفسطاط بالآجر المحكوك والجبس والجير  
من أوثق بناء وأمكنه ، وآثاره الباقية تشهد له بذلك » (٣) . يقول القلقشندى

(١) المقرئى : الخطط ١ : ٥ .

(٢) المقرئى : الخطط ١ : ٤ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٤ .



« وإذا نظرت إلى خطط الكندي والقضاعي والشريف النسابة ، عرفت ما كان الفسطاط عليه من العمارة وما صار إليه الآن » (١) .

وكانت معرفة الكندي والقضاعي بخطط مصر الفسطاط معرفة عظيمة حتى قال عنهما المقرئزي : « وناهيك بهما معرفة لآثار مصر وخططها » (٢) وأضاف « وعليهما يعول في معرفة خطط مصر ومن قبلهما ابن عبد الحكم » (٣) .

« ثم كان المنبه بعد القضاعي على الخطط والتعريف بها تلميذه أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوي المصري الذي توفي سنة ٥٢٠ هـ بعد أن جاوز المائة (٤) ، وقد صنف كتاباً في « خطط مصر » لم يصل إلينا ، قال عنه المقرئزي : إنه « تأليف لطيف نبّه فيه الأفضل أبا القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي على مواضع قد اغتصبت وتملكت بعد ما كانت أحباساً » (٥) ولا شك أن ذلك كان بعد ما أصاب الناس من سنى الشدة فاغتصبوا المواضع التي وصلت إليها أيديهم بعد أن فقدوا ممتلكاتهم واضطروا إلى ترك منازلهم والانتقال بعيداً عنها .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٤ .

(٢) المقرئزي : الخطط ٢ : ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٣) المقرئزي : الخطط ٢ : ٢٨٢ . وهذه هي الإشارة الوحيدة عند المقرئزي لاهتمام ابن عبد الحكم بخطط مصر ، فهو لم يعده في مقدمته بين من ألفوا في خططها ، بل قال : إن أول من رتب خططها هو الكندي .

(٤) راجع عنه ، العماد الكاتب : خريدة القصر ( قسم مصر ) ٢ : ٤٢ - ٤٣ ، ياقوت : معجم الأدياء ١٨ : ٣٩ ، القفطي : إنباه الرواة ٣ : ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٣١٠ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٧ ، الذهبي : العبر في خبر من غير ٤ : ٤٧ ، السيوطي : حسن المحاضرة ١ : ٥٣٣ وبغية الوعاة ١ : ٥٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب

٤ : ٦٢ ، Brock., GAL III, p, 987 .

(٥) المقرئزي : الخطط ١ : ٥ .

وآخر من ألف في الخطط في زمن الفاطميين أبو عبد الله محمد ابن أسعد بن علي بن الحسين المازاندراني المعروف بالشريف الجواني المتوفى سنة ٥٨٨ هـ (١) . كان نقيباً للأشراف في مصر وألف عدداً من المصنفات منها : « طبقات الطالبين » و « تاج الأنساب ومنهاج الصواب » (٢) و « الجواهر المكنون في ذكر القبائل والبطون » و « الروضة الأنيسة بفضل مشهد السيدة نفيسة » (٣) . وبالإضافة إلى ذلك وضع الشريف الجواني كتاباً في الخطط عنوانه « التَّقَطُّ بَعَجْجِمَ ما أشكِل من الخطط » ، قال عنه المقرئى : « نبّه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت » (٤) وكان أكثر اهتمام الجواني بخطط القسطنطينية ، وقد وقف المقرئى على كتاب الجواني بخطه يقول : « هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة وهو أقعد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد » (٥) . ويؤكد ذلك أيضاً قول القلقشندي : « وإذا نظرت إلى خطط الكندي والقضاعي والشريف النسابة ، عرفت ما كان القسطنطينية عليه من العمارة ، وما صار إليه الآن . . . » (٦) .

\* \* \*

وبسقوط خلافة الفاطميين في مصر سنة ٥٦٧ هـ تحولت البلاد من المذهب الإسماعيلي إلى المذهب السني وتولت أمرها دولة أخرى تخالف الفاطميين في نظمها وعقائدها . فقد انتقل أمر مصر إلى الأيوبيين السنيين الذين منعوا كثيراً من الاحتفالات الدينية التي كانت تتم في زمن الفاطميين الشيعة ، وأبطلوا كثيراً من الشعائر التي كانت في وقتهم ، وهدموا بعض منشآتهم وأقاموا في موضعها منشآت جديدة .

- (١) ترجمته عند الصفدي : الوافي بالوفيات ٢ : ٢٠٢ ، ابن حجر : لسان الميزان ٥ : ٧٤ ، المعاد الكاتب : جريدة القصر (قسم مصر) ١ : ١١٧ ، معجم البلدان ٣ : ١٥٦ ، Brock., GAL SII,626 وراجع ما كتبه عنه أستاذنا محمود محمد شاكر في مقدمة « جمهرة نسب قریش وأخبارها » للزبير بن بكار ٣٢ - ٥١ .
- (٢) المصدر نفسه ٢ : ٤٣٦ .
- (٣) المصدر نفسه ٢ : ٤٤٠ .
- (٤) المصدر نفسه ١ : ٥ .
- (٥) المقرئى : الخطط ١ : ٢٨٨ .
- (٦) القلقشندي : صبح الأعمى ٣ : ٣٣٤ .

ولعل من أهم منشآت الأيوبيين في مصر « قلعة الجبل » يقول المقرئزي :  
« وكان سبب بنائها أن السلطان صلاح الدين لما أزال الدولة الفاطمية من  
مصر واستبد بالأمر لم يتحول من دار الوزارة بالقاهرة ، ولم يزل يخاف  
على نفسه من شيعة الخلفاء الفاطميين بمصر ومن الملك العادل نور الدين  
محمود بن زنكي سلطان الشام ، فامتنع أولاً من نور الدين بأن سير أخاه  
الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب في سنة تسع وستين وخمسمائة  
إلى بلاد اليمن لتصير له مملكة تحميه من نور الدين . فاستولى شمس الدولة  
على ممالك اليمن ، وكفى الله تعالى صلاح الدين أمر نور الدين فمات في تلك  
السنة ، فخلاله الجوار وأمن جانبه ، ورجب أن يجعل لنفسه معقلاً بمصر ،  
فإنه كان قد قسم القصرين [ الفاطميين ] بين أمرائه وأنزلهم فيها . فيقال  
إن السبب الذي دعاه إلى اختيار مكان قلعة الجبل أنه علق اللحم بالقاهرة  
فتغير بعد يوم وليلة ، فعلق لحم حيوان آخر في موضع القلعة فلم يتغير إلا  
بعد يومين وليلتين . فأمر حينئذ بإنشاء قلعة هناك ، وأقام على عمارتها  
الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي فشرع في بنائها ، وبنى سور القاهرة  
الذي زاده في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وهدم ما هنالك من المساجد ،  
وأزال القبور ، وهدم الأهرام الصغار التي كانت بالجيزة تجاه مصر -  
وكانت كثيرة العدد - ونقل ما وجد بها من الحجارة وبنى به السور والقلعة  
وقناطر الجيزة ، وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة ومصر ،  
فمات السلطان قبل أن يتم الغرض من السور والقلعة ، فأهمل العمل إلى أن  
كانت سلطنة الملك الكامل في قلعة الجبل واستنابته في مملكة مصر وجعله ولي  
عهد فآتم بناء القلعة وأنشأ بها الآدر السلطانية وذلك في سنة أربع وستائة ،  
وما برح يسكنها حتى مات . فاستمرت من بعده داراً للمملكة مصر إلى يومنا  
هذا » (١) .

أقول وقد استمرت كذلك أيضاً إلى زمن محمد علي باشا حتى منتصف  
القرن التاسع عشر الميلادي .

ولعل أهم ما أحدثه الأيوبيون في مصر والقاهرة بناء المدارس لتدريس المذهب السني . فقد رأى سلاطين الأيوبيين أن ينشئوا مساجد لا تفقد وظيفة الجامع ، وفي الوقت نفسه لا تقتصر عليها ، فكانت المدارس التي أنشئ عدد كبير منها في القاهرة والفسطاط (١) .

وهكذا فقَدَت القاهرة الكثير من رونقها وهيئتها وحضارتها في زمن الأيوبيين ، يقول المقریزی : « . . . فصارت القاهرة مدينة سكنى بعد ما كانت حصناً يعتقل به ، ودار خلافة يلتجأ إليها ، فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام ، وهذا شأن الملوك ما زالوا يطمسون آثار من قبلهم ويميتون ذكر أعدائهم . . . » (٢) .

ويصف على بن سعيد المغربي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ والذي زار القاهرة وأقام فيها مدة في آخر دولة الأيوبيين وأول دولة المماليك ، يصفها في هذا الوقت بقوله : « هذه المدينة اسمها أعظم منها ، وكان ينبغي أن تكون في ترتيبها على خلاف ما عاينته ، لأنها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيدين » (٣) ، « وأكثر دروبها ضيقة مظلمة ، كثيرة التراب والأزبال ، والمباني عليها من قصب وطين ، مرتفعة قد ضيقت مسلك الهواء والضوء بينها . ولم أر في جميع بلاد المغرب أسوأ حالا منها في ذلك . ولقد كنت إذا مشيت فيها يضيق صدري وتدركني وحشة عظيمة حتى أخرج إلى بين القصرين » . (٤)

ولا نصادف في زمن الأيوبيين من يهتم بالكتابة عن خطط مصر والقاهرة ، فقد غلب على عصرهم الطابع الحربي ومواجهة القوى الصليبية

(١) راجع عن مدارس القاهرة في زمن الأيوبيين ، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، العصر الأيوبي ( القاهرة ١٩٦٩ ) ٤٩ - ٧٥ .

(٢) المقریزی : الخطط ١ : ٣٤٨ .

(٣) ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حل حضرة القاهرة ٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ٢٤ .

الغاشمة التي هددت الشرق الإسلامى بأثره ، وكان للأيوبيين فضل الذود عن الإسلام أمام حملات الصليبيين المختلفة ، وتقليص ممالكهم التي أقاموها في الشام واسترداد مملكة بيت المقدس .

\* \* \*

وفي زمن المماليك تقاربت المباني والمنشآت وزاد عدد سكان مدينة القاهرة ، وابتنى الناس في موضع القصرين الفاطميين ، وأنشأوا أحياء جديدة مما أدى إلى امتداد مساحة القاهرة ، يقول المقرئى : « ثم تزايدت العمارة . . . في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها ، إلى أن كادت تضيق على أهلها حتى حل بها وباء سنة تسع وأربعين وسنة إحدى وستين ، ثم غلاء سنة ست وسبعين فخربت بها عدة أماكن ، فلما كانت الحوادث والحزن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعمامة الإقليم » (١) .

وواقع الأمر أن القاهرة الفاطميين غابت عنا اليوم معالمها ولم يبق لنا إلا القاهرة المماليك بمساجدها الضخمة وحماماتها ومدارسها وخوانقها ومسالكها ودروبها .

فكتب القاضى محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين بن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ (٢) كتابه « الروضة البهية الزاهرة في خطط لمعزية القاهرة » ، قال عنه المقرئى : « فتح فيه باباً كانت الحاجة داعية إليه » (٣) .

فهو أول مؤلف مصرى خصص كتاباً لخطط القاهرة ، كان الأساس

---

(١) المقرئى : الخطط ١ : ٥ .

(٢) راجع عنه ، « Ibn , Abd al - Zahir » ، Pedersen, J., EI., art.

III, p. 701 - 702

(٣) المقرئى : الخطط ١ : ٥ .

الذى اعتمد عليه كل من القلقشندى والمقرزى وأبى الحاسن ، وللأسف لم يصل إلينا من مؤلفات ابن عبد الظاهر سوى مؤلفاته التاريخية فقط ، أما كتابه فى الخطط فقد فقد منذ زمن ، والنقول الكثيرة عنه عند القلقشندى والمقرزى تفيد بأنه كان مؤرخاً أثرياً (١) .

وقد وقعت لأبى بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادارى المتوفى سنة ٧٣٦ هـ (٢) مسودة كتاب ابن عبد الظاهر يقول : « وقعت على مسودة مجلدة بخط يد القاضى ابن عبد الظاهر ، رحمه الله ، يقول فى أولها : الروضة البهية فى خطط القاهرة المعزية ، جمع الفقير إلى الله تعالى فى سنة ٦٤٧ هـ » (٣) ونخص ابن أيبك قسماً من كتاب ابن عبد الظاهر بطريقة غير منظمة فى الجزء الذى خصصه للدولة الفاطمية من كتابه « كنز الدرر وجامع الغرر » والمسمى « الدررة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية » ، وعلق على ما لخصه من كتاب ابن عبد الظاهر بقوله : هذا ما لخصته من كتاب الخطط ، وهو مسودة بغير ترتيب ، ولا هى كلام متوال . وقصدى إن فسح الله فى الأجل ، بعد تكملة هذا التاريخ ، أن أنشى كتاباً يتضمن خطط القاهرة أسميه « الروضة الزاهرة فى خطط القاهرة » ، آتى فيه بما لم أسبق إليه من فنون ، تشفى السامع وتنزه العيون ، وذلك لما استصويت بهذه الأنوار ، المفترعة من أبقار الأفكار ، فىكون ذلك أسساً للبناء ، ونوراً للهداية ، والمرجو من الله تعالى إدراك هذه النية ، وبلوغ هذه الأمنية ، إنه بالإجابة جدير ، وهو على كل شىء قدير » (٤) .

ولا ندرى على وجه اليقين إن كان ابن أيبك قد تمكن من كتابة كتابه عن الخطط ، سوى أنه يقول فى الجزء السابع من كتابه « كنز الدرر »

(١) Casanova, op cit., p. 505 .

(٢) راجع عنه ، Lewis, B., EI., art. «Ibn al - Dawadari», III, p. 767.

(٣) ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ٦ : ١٣٧ .

(٤) المصدر نفسه ٦ : ١٤٢ .

وهو يذكر خبر الصالح طلائع بن رزّيك : « وهذا الصالح الذى بنى هذا الجامع الذى بظاهر باب زويلة ، وقد ذكرته فى كتابى المسمى « اللقط الباهرة فى خطط القاهرة » (١) .

وإذا كان ابن عبد الظاهر قد خصص كتابه لذكر خطط القاهرة ، فقد كان هناك فى الوقت نفسه من هو مستمر فى الكتابة عن خطط الفسطاط ، يقول المقرئى : « وآخر ما رأيت من الكتب التى صنفتم فى خطط مصر كتاب « إيقاظ المتغفل واتعاط المتأمل » تأليف القاضى الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوّج الزيرى رحمه الله ، وقطع على سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فذكر من الأخطاط المشهورة بذاتها لعهد اثنى وخمسين خطاً ، ومن الحارات اثنى عشرة حارة ، ومن الأزقة المشهورة ستة وثمانين زقاقاً ، ومن الدورب المشهورة ثلاثة وخمسين درباً ، ومن الخوخ المشهورة خمساً وعشرين خوخة ، ومن الأسواق المشهورة تسعة عشر سوقاً ، ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثة عشر خطاً ، ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة ، ومن العقبات المشهورة إحدى عشرة عقبة ، ومن الكيمان المسماة ستة كيمان ، ومن الأقباء عشرة أقباء ، ومن البرك خمس برك ، ومن السقائف خمساً وستين سقيفة ، ومن القياسر سبع قياسر ، ومن مطابخ السكر العامرة ستة وستين مطبخاً ، ومن الشوارع ستة شوارع ، ومن المحارس عشرين محرساً ، ومن الجوامع التى تقام فيها الجمعة بمصر وظهرها من الجزيرة والقرافة أربعة عشر جامعاً ، ومن المساجد أربعمائة وثمانين مسجداً ، ومن المدارس سبع عشرة مدرسة ، ومن الزوايا ثمانى زوايا ، ومن الربط التى بمصر والقرافة بضعاً وأربعين رباطاً ، ومن الأحباس والأوقاف كثيراً ، ومن الحمامات بضعاً وسبعين حماماً ، ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين ما بين دير وكنيسة ، وقد باد أكثر ما ذكر ودثر . . . (٢) ، ومعظم ذلك فى وباء سنة تسع وأربعين وسبعمائة ،

(١) ابن أبيك : كنز الدرر ٧ : ١٨ .

(٢) المقرئى : الخطط ١ : ٣٤٢ - ٣٤٣ .

ثم في وباء سنة إحدى وستين ، ثم في غلاء سنة ست وسبعين وسبعمائة « (١) .  
ومن هذا الوصف الذي أورده المقرئزي لكتاب ابن المتوج المتوفى سنة  
٧٣٠ هـ يتضح لنا أهمية كتابه الذي خصه فقط بالفسطاط وقد نقل عنه  
أيضاً في مواضع كثيرة القلقشندى عند وصفه الفسطاط في كتابه  
« صبح الأعشى » (٢) .

### الخِطَطُ بَيْنَ الْمُقْرِئِزِيِّ وَالْأَوْحَدِيِّ وَابْنِ دُقْمَاقَ :

آخر مؤلفي الخطط الذين ذكرهم المقرئزي واستفاد منهم هو ابن المتوج ،  
وكتب بعد ابن المتوج اثنان من أشهر مؤرخي الخطط لم يشر إليهما المقرئزي ،  
أحدهما وصل إلينا قسم من كتابه هو ابن دقماق ، والثاني فقد كتابه  
هو الأوحدي .

فابن دُقْمَاقَ ، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدير العلائى المتوفى  
سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م (٣) صنف عدداً كبيراً من الكتب في فن التاريخ  
والطبقات وصل إلينا منها بعضها . وكان قليل الإحاطة بالعربية عامي العبارة ،  
كما كان من غلاة الحنفية وصنف كتاباً في طبقاتهم عنوانه « نظم الجمان »  
في ثلاث مجلدات امتحن بسببه (٤) .

ويهمنا في هذا الموضوع من مؤلفات ابن دقماق كتاب « الانتصار  
لواسطة عقد الأمصار » (٥) الذي وصل إلينا منه جزءان هما : الجزء الرابع  
والجزء الخامس . وتبدو قيمة هذا المؤلف خاصة بالنسبة لمدينة الفسطاط  
وخططها .

(١) المقرئزي : الخطط ١ : ٥ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٦ و ٣٣٨ و ٣٤١ .

(٣) راجع ترجمته عند أبي الحسن : المنهل الصافي ١ : ١٢٠ - ١٢١ ، السخاوى لآ

الضوء اللامع ١ : ١٤٥ - ١٤٦ ، كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ٤٦١ ،

Brock., GAL, II, 50, 67, SII, 49: Pedersn, J. EI., art. «Ibn Duqmaq»,

III, p, 779.

(٤) السخاوى : الضوء اللامع ١ : ١٤٥ .

(٥) نشره فولرز في مصر سنة ١٣٠٩ هـ .



وكان المقرئى من تلامذة ابن دقماق فلا عجب أن عرف مؤلفاته جيد ، ولكنه لا ينتقل عنه على الإطلاق ، ويرى كراتشكوفسكى أنه من الممكن أن يكون المقرئى قد أغفل ذكر كتاب شيخه ابن دقماق عمداً لأن المقرئى كان شافعيّاً متطرفاً على حين كان ابن دقماق من غلاة الحنفية (١).

أما الأوحدي (٢) ، أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان المتوفى سنة ٨١١ هـ (٣) ، فكان أديباً معتمداً بالتاريخ لهجاً به ، شافعي المذهب ، كتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة يبيّض بعضها وأفاد فيها كما قال ابن حجر (٤) .

وأهم المؤرخ المصرى شمس الدين السخاوى التقي المقرئى بأنه سطا على مسودة جاره الأوحدي فى الخطط ، فيبضها وزاد عليها ونسبها لنفسه ، ولم يترك السخاوى مناسبة فى مؤلفاته ، ذكر فيها الأوحدي أو المقرئى ، إلا آثار فيها هذه القضية وهو يكرر فى كل مرة اتهامه للمقرئى بالسطو على مسودة الأوحدي وتبضها مع إضافة زيادات لا طائل لها ونسبها لنفسه (٥) .

- 
- (١) كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ٤٨٢ .  
(٢) عرف بذلك لأن جده الحسن بن طوغان قدم من بلاد المشرق سنة عشر وسبعمائة فاتصل بخدمة بيبرس الأوحدي نائب القلعة وناب عنه فشهّر بذلك ( ابن حجر : إنباء الغمر ٢ : ٤٠٦ ) .  
(٣) راجع ترجمته عند المقرئى : المقفى ( مخ السليمية ) ١١٠ ظ ، ابن حجر : إنباء الغمر ( تحقيق حسن حبشى ) ٢ : ٤٠٦ ، السخاوى : الضوء اللامع ١ : ٣٥٨-٤٥٩ والإعلان بالتوبيخ ٦٤٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ١ : ٥٥٦ .  
(٤) ابن حجر : إنباء الغمر ٢ : ٤٠٦ .

(٥) المواضع التى أتهم فيها السخاوى المقرئى بالسطو على مسودة الأوحدي :  
١ - قال فى ترجمة الأوحدي : « واعتنى بالتاريخ وكان لهجاً به ، وكتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة تعب فيها وأفاد وأجاد ، ويبض بعضها فيبضها التقي المقرئى ونسبها لنفسه مع زيادات » ( الضوء اللامع ١ : ٣٥٨ ) .  
٢ - قال فى ترجمة المقرئى : « وأقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وهد فيه صيته وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد =

وشغلت هذه القضية التي آثارها السخاوى، عدداً من الباحثين،  
خلصوا إلى تبرئة المقريزى من تهمة السطو على مسودة الأوحدى . غير أن  
دراسة العلاقة بين كل من ابن دقماق والأوحدى والمقريزى ، بالإضافة إلى  
مسودة خطط المقريزى الجديدة التي وصلت إلينا تجعلنا نعيد النظر مرة أخرى  
في صحة هذا الاتهام .

فأقدم هؤلاء الثلاثة ابن دقماق ولد سنة ٧٥٠ هـ ، أما الأوحدى  
والمقريزى فهما متقاربان في السن ، ولد الأول في سنة ٧٦١ هـ ، أما الثانى  
فقد ولد بعده بخمس سنوات في سنة ٧٦٦ ، وكان جاراً له وقد اهتما بدراسة  
موضوع واحد هو خطط القاهرة . وكان الأوحدى حريصاً على عدم إطلاع  
جاره المقريزى على كتبه ، لعلمه باهتمام المقريزى بنفس موضوعه . وتوفى

---

=لكوة ظفر بمسودة الأوحدى - كما سبق في ترجمته - فأخذها وزادها زوائد غير طائلة ... » .  
( الضوء اللامع ٢ : ٢٢ والتبر المسبوك ٢٢ ) .

٤ - قال عند ذكر المؤلفات الخاصة بالقاهرة : « وكذا جمع خططها المقريزى وهو  
مفيد . قال لنا شيخنا أنه ظفر به مسودة لجاره الشهاب أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى ،  
بل كان يبض بعضه فأخذها وزاد عليه زيادات ونسبها لنفسه » . ( الإعلان بالتبليغ ١٣١ ) .  
وهنا يذكر السخاوى أن شيخه ابن حجر هو الذى قال له : إن المقريزى سطا على كتاب  
الأوحدى ، ولم أجد فيما كتبه ابن حجر من المقريزى أو الأوحدى ذكر لهذا الاتهام ،  
بل على العكس فإن السخاوى نفسه ينقل في ترجمته للمقريزى عن ابن حجر ما نصه : « وقد  
ترجمه شيخنا في معجمه بقوله : وله النظم الفائق والنثر الرائق والتصانيف الباهرة وخصوصاً  
في تاريخ القاهرة فإنه أحيا معالمها وأوضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم أعيانها . ( الضوء  
اللامع ٢ : ٢٤ والتبر المسبوك ٢٤ ) .

ولم يكتف السخاوى باتهام المقريزى بالسطو على مسودة الأوحدى في الخطط ، بل اتهمه  
أيضاً بأنه قليل المعرفة بالمتقدمين ، ولا يفصح عن ينقل عنه . يقول في ترجمته : « ... وكان  
حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ، ولذلك يكثر له فيهم وقوع التحريف  
والسقط ، وربما صحف في المتون ..... وأما في المتأخرين فقد انفرد في تراجمهم بما لا يوافق  
عليه » . ( الضوء اللامع ٢ : ٢٣ ، التبر المسبوك ٢٣ ) .

وقال في التبر المسبوك ١٠٣ : « وقد كان التقى المقريزى كثير الاعتماد على هذا فيما  
نحبر به مما يتعلق بالتاريخ ونحوه من غير إفصاح بالنقل عنه على عادته » .

الأوحدى شاباً قبل أن يُكْمَل تأليف كتابه وتركه مسودة لم يبيضاها ، بينما  
عمرُ المقرئى بعده أربعاً وثلاثين عاماً ، منتقلاً في بعض المناصب العامة ،  
مرتجلاً إلى الشام والحجاز .

وأغفل المقرئى ذكر ابن دقماق والأوحدى وهو يعدُّ مؤرخى الخطط  
في مصر الإسلامية في مقدمة كتابه « المواعظ والاعتبار » ، غير أنه ترجم  
للأوحدى ترجمة مفيدة في كتابه « درر العقود الفريدة » ، أثبت بها السخاوى  
في كتابه « الضوء اللامع » اعتراف فيها بانتفاعه بمسوداته في الخطط ، وقال  
عنه : « كان ضابطاً متقناً ذا كبراً لكثير من القراءات وتوجهها وعللها ،  
حافظاً لكثير من التاريخ سيما أخبار المصريين ، فإنه لا يكاد يشذ عنه من  
أخبار ملوكها وخلفائها وأمرائها وقلع حروبها وخطط دورها وتراجيم  
أعيانها إلا اليسير ... » (١) .

فهذه الشهادة تدلنا على أن الأوحدى كان عارفاً بتاريخ المصريين ،  
وخطط القاهرة ، فلا شك أن المقرئى اطلع على مؤلفات الأوحدى ،  
وبتعبير أدق مسوداته عن الخطط .

وقد نقل المقرئى عن الأوحدى في موضع واحد في كتابه « المواعظ  
والاعتبار » ، قال : « وأخبرني المقرئ الأديب المؤرخ الضابط شهاب  
الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى ، رحمه الله ، قال : أخبرني  
المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، قال : أخبرني العلامة  
شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى أنه أدرك بجامع عمرو  
ابن العاص بمصر قبل الوفاء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعاً  
وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد يرح منها » (١) .

ولا ندري سبباً واضحاً يجعل المقرئى يُغفل عمل الأوحدى ويتجاهله ،

(١) السخاوى : الضوء اللامع ١ : ٣٥٩ .

(٢) المقرئى : الخطط ٢ : ٢٥٦ .

رغم شهادته له بحفظه لكثير من التاريخ ، ومعرفته بخطوط ودور مصر وتراجم أعيانها ، إلا أن تكون الغيرة العلمية .

ومع إشارة معاصري الأوحدي إلى كتابته خطأً للقاهرة مات عنها مسودة لم يبيضا ، فيبدو أنها فقدت في أعقاب وفاته مباشرة ، أو أن المقريزي نفسه أتلّفها بعد أن استفاد منها ، فلا نجد أى إشارة إليها أو نقل عنها عند أحد من المؤرخين المتأخرين .

وكان الأوحدي كما وصفه ابن حجر لهجاً بالتاريخ ، فقد وقف على كثير من المؤلفات الخاصة بتاريخ مصر والقاهرة ، وسجل عليها بخطه استفادته منها وانتفاعه بها ، فمن ذلك ما دونه على الورقة ١٣٤ و من مخطوطة كتاب « الولاة والقضاة » للكندى المحفوظة في المتحف البريطاني مفيداً أنه أمتلكها في شهر رمضان سنة ٨٠٥ هـ (١) .

وكثيراً ما نجد اسمه جنباً إلى جنب مع اسم المقريزي على بعض مؤلفات تاريخ مصر الإسلامية مثل ما جاء على الورقة ١٣٢ و ، وهي صفحة غلاف كتاب « أخبار مصر » للمسبحي المحفوظة في الاسكوريال ، ونصه : « طالعه أحمد بن عبد الله بن الحسن بن الأوحدي بالقاهرة سنة ٨٠٣ » ، وأثبت المقريزي على الصفحة نفسها ما نصه : « استفاد منه داعياً له أحمد ابن علي المقريزي » (٢) .

وعلى مخطوطة كتاب « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد المغربي نسخة دار الكتب المصرية نجد توقيع المؤرخين الثلاثة : ابن دقماق ، والأوحدي ، والمقريزي وهو آخر من وقع عليها . وهذا الكتاب أحد أهم مصادر المقريزي في كتابيه : « الخطط » و « اتعاظ الحنفا » (٣)

(١) الكندى : الولاة والقضاة ( نشرة جست ) المقدمة ص ٤٧ .

(٢) المسبحي : أخبار مصر ( نشرأيمن فؤاد سيد ، وتيارى بيانكى ) ص ١ ولوحة ١ .

(٣) ابن سعيد : المغرب ( نشرزكى محمد حسن ، القاهرة ١٩٥١ ) ص ٥٩ ولوحة ٣ .

ومما سلف يمكننا أن نذهب إلى أن الأوحدي كتب مسودة خطط القاهرة وبيض قسماً منها ، في الوقت الذي كان جاره المقريزي مهتماً بالموضوع نفسه ، ويبدو أن الأوحدي كان حريصاً على حجب مصادر معلوماته عن جاره المقريزي فلما مات الأوحدي في سنة ٨١١ هـ قبل أن يتم كتابه ، ظفر به مسودة المقريزي وأخذ في مراجعة مصادره والمكتبات التي اعتمد عليها الأوحدي ، فعرف المصادر التي استخدمها ورجع إليها مباشرة . ومن سوء الحظ أن معظم المصادر المذكورة في كتاب الخطط قد فقدت منذ زمن ، ولم يصل إلينا منها إلا نحو خمس كتب تشهد بأنه امتلكها أو استفاد منها كل من الأوحدي والمقريزي وابن دقماق ، ودأبما كان تاريخ استخدام المقريزي لهذه المصادر متأخراً عن استخدام ابن دقماق والأوحدي لها . ويغلب على ظني أن نسخ هذه الكتب كانت قليلة في زمن المقريزي حتى إن المؤرخين الثلاثة ، كما يتضح لنا ، قد استخدموا في مراجعتهم نسخة واحدة فقط .

ومما يدل على معرفة المقريزي بما كتبه الأوحدي أو انتخبه من مؤلفات القدماء أن النسخة الوحيدة لكتاب « الذخائر والتحف » المنسوب للقاضي الرشيد بن الزبير والمحفوظة في مكتبة أفيون قره حصار في تركيا كتبها شيخ المقريزي ابن دقماق ، وأثبت في آخرها ذيل على الكتاب جاء في أوله : « زيادات على ما وجد من كتاب الهدايا والتحف ( كذا ) اختارها صاحبنا الأمير الأجل شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي المقرئ الشافعي » (١) .

وكتاب « الذخائر والتحف » من أهم مصادر المقريزي في « الخطط » و « الاتعاظ » . ونقل المقريزي في مسودة الخطط المحفوظة في مكتبة خزينة نصاً عن هذا الكتاب أرجح أنه من هذه النسخة نفسها التي وصلت إلينا ،

(١) الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٦٥ .

نصه : « وقال في كتاب « الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك » ، وهو جمع بعض المصريين ، مجهول المصنف وفيه فوائد جمة ومنه نقلت ما نصه . . . » (١) .

وهذا العنوان هو نفسه العنوان المثبت على مخطوطة أفيون قره حصار (٢) ، وأهمل المقریزی ذكر جامع هذا الكتاب ، واكتفى بالقول بأنه جمع بعض المصريين .

وأستطيع أن أوكد - إن لم يجانبني التوفيق - أن مسودة خطط المقریزی المحفوظة بمكتبة خزينة باستامبول ، تحوى قسماً من مسودة الأوحدي وتبين لنا المنهج الذي أراد أن يتبعه في تصنيفه فقد أراد أن يذكر خطط القاهرة وما خرج عليها من جهاتها الأربع فقط فقد جاء في ورقة ٢٥ و من مخطوطة خزينة ما نصه :

« وسأذكر إن شاء الله من خطط القاهرة وظواهرها ما أقدر عليه مما وقفت على خبره في كتب التواريخ ، أو أخبرني من أتق به أو شاهدته ، سالكاً في ذكر ذلك الطريق إلى بين الإكثار والاختصار ، وبالله أستعين فهو المعين لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب . وأبدأ أولاً بذكر القصور الزاهرة وإيراد ما كانت عليه في مدة الدولة الفاطمية ، ثم ما صارت إليه بعد ذلك . وأعقب ذكر القصور الزاهرة بذكر الحارات والخطط بالقاهرة ثم أذكر ما خرج عن القاهرة من جهاتها الأربع فيما بين القاهرة ومصر ، وفيما بين القاهرة وشاطئ النيل ، وفيما بين القاهرة والمطرية ، وفيما بين القاهرة والجبل الشرقي إن شاء الله » (٣) .

---

(١) المقریزی : الخطط ( مخ . خزينة ) ٥٨ و . وقارن ( ط بولاق ) ٢ : ٢٨٧ .  
(٢) أنظر الصفحة الأولى من كتاب الذخائر والتحف .  
(٣) المقریزی : الخطط ( مخ . خزينة ) ٢٥ و .

وقد درس المقرئ في هذه المسودة ما هو محدد في هذا التخطيط ولكن ليس بالمخطوطة ذكر « ما خرج عن القاهرة من جهاتها الأربع » . وهو غير موجود أيضاً في الصورة الأخيرة للكتات التي وصلت إلينا ، إلا في صورة موجزة استغرقت صفحتين من طبعة بولاق عند « ذكر حد القاهرة » (١) فقد كان هذا هو منهج الأوحدي ولم تحو مسودته التي ظفر بها المقرئ ، على ذكر ما خرج عن القاهرة من جهاتها الأربع فقد وافته المنية قبل أن يكمله ، وفي الوقت نفسه لم يهتم المقرئ بالبحث عنه وتسجيله .

ولعل من أهم فوائد هذه المسودة التعرف على أسلوب القدماء في التأليف ، فقليلاً ما وصلت إلينا مسودات المؤلفين ، ولكن هذه المسودة توضح لنا منهج أحد علماء المسلمين ، وهو واحد من كبار مؤرخي الإسلام في التصنيف . ففي المخطوطة حذف وكشط وشطب كثير ، مع إضافة تغييرات كثيرة على هوامش الصفحات ، وطيارات بين صفحات الكتاب فيها فوائد كثيرة منقولة عن مصادرها الأصلية . وفي كل مرة يأتي المقرئ بالخبز مسبوقةً باسم صاحبه واسم كتابه الذي نقل عنه ، ولكنه أسقط الكثير من هذه البيانات في مبيضته الأخيرة ! رغم أنه أوضح المنهج الذي اتبعه في تأليف كتابه «المواعظ والاعتبار» في مقدمته الدقيقة قائلاً : « وأما أي أنحاء التعاليم التي قصدت في هذا الكتاب ، فإنني سلكت فيه ثلاثة أنحاء وهي :

النقل من الكتب المصنفة في العلوم ، والرواية عن أدركت من مشيخة العلم وجلة الناس ، والمشاهدة لما عاينته ورأيت .

فأما النقل من دواوين العلم التي صنفتها في أنواع العلوم فإنني أعزو كل نقل إلى الكتاب الذي نقلته منه لأخلص من عهده وأبرأ من جريدته ، فكثيراً ممن ضمنى وإياه العصر واشتمل عليه المصير صار لقلّة إشرافه على العلوم وقصور بابه في معرفة علوم التاريخ وجهل مقالات الناس ، يهجم بالإنكار على ما لا يعرفه ، ولو أنصف لعلم أن العجز من قبله . وليس

(١) المقرئ : الخطط ( ط . بولاق ) ١ : ٣٦٠ - ٣٦١ .

ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذى يقطع عليه ولا يحتاج فى الشريعة إليه ، وحسب العالم أن يعلم ما قيل فى ذلك ويقف عليه .

وأما الرواية عمن أدركت من الجلة والمشائخ فإنى فى الغالب والأكثر أصرح باسم من حدثنى إلا أن يحتاج إلى تعيينه أو أكون قد أنسيته ، وقل ما يتفق مثل ذلك .

وأما ما شاهدته فإنى أرجو أن أكون والله الحمد غير متهم ولا ظنين .

.....

وعزى أن أجعل الكلام فى كل خط من الأخطاط ، وفى كل أثر من الآثار على حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من الأخبار أجمع وأكثر فائدة وأسهل تناولا « (١) .

وكان المقرئى دائم الاهتمام بكتابه ، وقد أخذ يضيف إليه ويحذف منه طوال ما يقرب من ثلاثين عاماً . وقد سجل فى بعض مواضع من كتابه الزمن الذى كتب فيه ، وأقدم هذه الإشارات تعود إلى سنة ٨١٤ هـ ، يقول فى موضع من مسودته : « مررت يوماً فى سنى أربع عشرة وخمس عشرة وثمانمائة ... » (٢) .

وعندما نقل وصف ابن المتوج للمقياس أضاف : « قلت وهو باق إلى يومنا هذا ، أعنى سنة عشرين وثمانمائة » (٣) . وكتب فى موضع آخر : « قال مؤلفه ، رحمه الله تعالى ، وكان بأرض مدين عدة مدائن كثيرة قد باد أهلها وخربت وبقى منها إلى يومنا هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمانمائة نحو الأربعين مدينة ... » (٤) .

(١) المقرئى : الخطط ١ : ٤ ..

(٢) المقرئى : الخطط ( مخ . خزينة ) ٢٥ ظ .

(٣) المقرئى : الخطط ١ : ٢٨٦ .

(٤) المصدر نفسه ١ : ١٨٨ .



وذكر في آخر الكتاب خبر وفاة امرأة قدمت من دمشق ، قال  
« توفيت في تاسع عشرى ذى القعدة سنة أربعين وثمانمائة » (١) .

أما آخر تاريخ ذكره في الخطط فهو سنة ٨٤٣ هـ ، قال عند ذكر  
جامع قيدان : « ... ثم وسع فيه الشيخ أحمد بن محمد الأنصارى العقاد  
الشهير بالأزرارى ، ومات في ثانى عشر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين  
وثمانمائة » (٢) . وقال في موضع آخر : « وتجدد في آخر سوقة أمير  
الجيوش بالقاهرة جامع أنشأه الفقير المعتقد محمد الغمرى وأقيمت به  
الجمعة في يوم الجمعة رابع ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل  
أن يكمل » (٣) .

ولعل أمتع فصول كتاب « الخطط » للمقريزى هو ذلك الفصل الشيق  
الذى خصصه المقريزى لذكر بناء القاهرة ووصف قصور الخلفاء الفاطميين  
ومناظرهم وأماكن نزههم وما كان يصاحب ذلك من نظم ورسوم  
واحترافات . فهو أهم وصف متكامل للحياة فى القصور الفاطمية ، اعتمد  
فيه على مصادر أصلية فقدت جميعها منذ زمن بعيد ، فأضحى كتاب المقريزى  
بذلك هو مصدرها الوحيد تقريباً للتعرف على تطور تاريخ مدينة القاهرة  
فى عصر الفاطميين ، وإذا ذكرنا القاهرة الفاطميين ، فهى القصرين الفاطميين  
وما بينهما وما يتفرع من قصبة القاهرة أو الشارع الأعظم ( بين القصرين )  
من شوارع وحارات تسكنها فرق وطوائف الجيش الفاطمى والموكلون  
بالخدمة فى القصور وأسرههم .

ويبدو لى أيضاً أن هذا القسم من الكتاب هو نفسه القسم الذى اهتم  
به الأوحدى بناء على ما جاء فى كتب المؤرخين ، وكان أساس كتاب  
المقريزى كما يتضح من المنهج الذى ارتضاه لنفسه فى مسودة الخطط ،

(١) المصدر نفسه ٢ : ٤٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ٢ : ٣١٣ .

(٣) المصدر نفسه ٢ : ٣٣١ .

ثم عدل عنه في النهاية وزاد في كتابه زيادات كثيرة سواء قبل هذا الفصل أو بعده . فقد قسم كتابه في صورته النهائية إلى سبعة فصول هي :

- ١ - جغرافية مصر ، وذكر نيلها وخراجها .
- ٢ - وصف بعض مدنها .
- ٣ - تاريخ الفسطاط وولائه .
- ٤ - تاريخ القاهرة مدينة المعز .
- ٥ - وصف القاهرة .
- ٦ - قلعة الجبل .
- ٧ - أسباب خراب مصر .

ولم يذكر المقرئى أى شىء عن الفصل السابع ، وربما اكتفى بما دونه في كتابه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » .

وقد أضاف المقرئى إلى هذا التقسيم فصولاً لا علاقة لها كثيراً بموضوع كتابه ، مثل :

- تاريخ الأيوبيين والمماليك ( بولاق ٢ : ٢٣٢ - ٢٤٤ ) .
- المذاهب الدينية في مصر ، وفرق المتكلمين ( بولاق ٢ : ٣٣١ - ٣٦٠ ) .

\* \* \*

بقى شىء واحد ، وهو أن أكثر من نصف كتاب خطط المقرئى يحدد مواضع منشآت ويذكر أحداثاً كانت بعد وفاة الأوحدى ، فأذكرته منذ قليل لا يعنى أن المقرئى سطا تماماً على مسودة الأوحدى بل إنه طالعها واستفاد منها وعرف مصادرها فتبعها ونقل منها ولم يجد ضرورة للإشارة إلى مسودة الأوحدى ، وهو معاصره ، طالما اطلع هو بنفسه على المصادر الرئيسية التى كتبت عن مصر والقاهرة .

ولكن دراسة تحليلية نقدية لمصادر المقرئى في الخطط ، اعتماداً على مسودته التى وصلت إلينا ، وعلى الصورة النهائية للكتاب ، بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى التى تناول فيها بعض موضوعات الخطط ، كفيلة

بأن توضح لنا تسلسل التأليف التاريخي في مصر الإسلامية ، خاصة فيما يخص العصر الفاطمي ، وهو ما أنوى أن أقوم به في دراسة لاحقة إن شاء الله .

إن المقرئى شيخ مؤرخى مصر الإسلامية ، كان شغوفاً كل الشغف بمدينة القاهرة عاشقاً لها ، محباً لآثارها ، مجدداً لمآثرها ، يقول فى ذلك : « وكانت مصر هى مسقط رأسى ، وملعب أترابى ، وجمع ناسى ، ومغنى عشرتى وحاميتى ، وموطن خاصتى وعامتى ، وجؤجؤى الذى ربى جناحى فى وكره ، وعش مآربى ، فلا تهوى الأنفس غير ذكره ، لازلت منذ شذوت العلم وأتانى ربى الفطنة والفهم أرغب فى معرفة أخبارها ، وأحب الإشراف على الاعتراف من آبارها وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ، فقيدت بخطى فى الأعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب أو يحويها لغزتها وغرابتها إهاب ، إلا أنها ليست بمرتبة على مثال ، ولا مهذبة بطريقة ما نسج على منوال ، فأردت أن أنخص منها أبناء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الحالية ، وما بقى بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد يفنيه البلى والقدم ، ولم يبق إلا أن يمحور رسمها الفناء والعدم ، وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة ، وما اشتملت عليه من الخطط والأصقاع ، وحوته من المباني البديعة الأوضاع مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الأمائل والتنويه بذكر الذى شادها من سراة الأعاطم والأفاضل ، وأثر خلال ذلك نكتاً لطيفة وحكماً بديعة شريفة من غير إطالة ولا إكثار ولا إجحاف يحل بالغرض ولا اختصار ، بل وسط بين الطرفين وطريق بين بين ، فلهدا أسميته « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ... » (١) (١)

فكما ترى فلولا ما حفظه لنا المقرئ في كتابه «المواعظ والاعتبار»  
لضاعت عنها فوائد كثيرة ومعلومات هامة عن نشأة القاهرة وتطورها  
وما كان فيها من منشآت وعمائر وشوارع وحارات ، فقد بلغ فن كتابة  
الخط مع المقرئ قمته ومداه ، وكل من كتب بعده تكفل عنه أو لخص  
بما قاله (١).

في هذا البحث ندرس بعض النماذج من الخط العربي في كتابه «المواعظ والاعتبار»  
والتي تسمى بـ «الخط الحطوط» وهي مجموعة من النسخ التي كتبت في  
القرن الثامن عشر الميلادي في القاهرة. نرى في هذه النسخ تطوراً واضحاً  
في الخط العربي، حيث أصبح أكثر جمالية وأقرب إلى الخط المغربي  
الذي كان سائداً في ذلك الوقت. نلاحظ أيضاً في هذه النسخ  
استخدام الحروف المتصلة بشكل كبير، مما يجعلها أكثر سلاسة  
وأقل خشونة من النسخ السابقة. كما نرى في هذه النسخ  
تطوراً في فن الكتابة اليدوية، حيث أصبح الخطاطون يهتمون  
بجمال الشكل ونسق الخط أكثر من ذي قبل. هذا التطور  
يعكس الاهتمام المتزايد بالخط العربي في ذلك الوقت، والذي  
كان أحد أهم الفنون في الثقافة الإسلامية آنذاك. إن دراسة  
هذه النسخ تساعدنا على فهم التاريخ والتطور الفني للخط  
العربي في القاهرة خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وتبين لنا  
القوة الإبداعية التي كان يتمتع بها الخطاطون في ذلك الوقت.  
ونرى في هذه النسخ أيضاً استخدام الحروف المتصلة بشكل  
كبير، مما يجعلها أكثر سلاسة وأقل خشونة من النسخ السابقة.  
كما نرى في هذه النسخ تطوراً في فن الكتابة اليدوية، حيث أصبح  
الخطاطون يهتمون بجمال الشكل ونسق الخط أكثر من ذي قبل.  
هذا التطور يعكس الاهتمام المتزايد بالخط العربي في ذلك الوقت،  
والذي كان أحد أهم الفنون في الثقافة الإسلامية آنذاك. إن دراسة  
هذه النسخ تساعدنا على فهم التاريخ والتطور الفني للخط العربي  
في القاهرة خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وتبين لنا القوة  
الإبداعية التي كان يتمتع بها الخطاطون في ذلك الوقت.

(١) عن مؤلفي الخط بعد المقرئ. راجع مقال: Sayyid, «A.F, Remarques : sur la composition des Hitat de Maqrizi d'après un manuscrit Autographe», Mélanges Serge Sauneron (IFAO. 1979), II,p. 236 -38 محمد عبد الله عثمان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية (القاهرة ١٩٦٩) ٦٣-٧٦ .

الأقوال القلبيّة  
في حكمه النقل من الكتب القديمة  
لأبي الحسن البقاعي

تحقيق  
الدكتور محمد مرسي الخولي

1880  
1881  
1882  
1883  
1884  
1885  
1886  
1887  
1888  
1889  
1890

1891  
1892  
1893  
1894  
1895  
1896  
1897  
1898  
1899  
1900

## تمهيد

البقاعى هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - ابن على بن أبى بكر البقاعى ، أبو الحسن برهان الدين ، أصله من البقاع فى لبنان ، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة ، وكان مؤرخاً أديباً ، له كثير من المؤلفات فى فنون متعددة ، ولكن معظمها ما يزال مخطوطاً ومن بينها تفسيره الكبير المسمى « بنظم الدرر فى تناسب الآى والسور » (١) فى سبع مجلدات ، وقد امتدحه كثير من علماء عصره ، كما أن له : « عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران » (٢) فى أربع مجلدات ، اختصره فى كتاب سماه « « عنوان العنوان » » ، وله : « أشواق الأشواق » اختصر به مصارع العشاق للسراج الوراق ، « والباحة فى علمى الحساب والمساحة » ، و « بذل النصيح والشفقة للتعريف بصحبة ورقة » ، « والإعلام بسنن الهجرة إلى الشام » وله ديوان شعر ، الأول قاله فى مناسبات متعددة وسماه « إشعار الواعى بأشعار البقاعى » ، والثانى فى مدح الرسول صلوات الله عليه وسماه « جواهر البحار فى نظم سيرة المختار » ، وأتمه فى رشيد من بلاد مصر فى صفر سنة ٨٤٨ هـ ، وكل هذه الكتب ما يزال مخطوطاً ، مع أن الكثير منها جدير بالتحقيق والنشر ، وقد توفى البقاعى عام ٨٨٥ هـ بدمشق ، رحمه الله .

وهذا الكتاب الصغير الذى بين أيدينا « الأقوال القويمية فى حكم النقل من الكتب القديمة » ، ألفه البقاعى بعد أن فرغ من تأليف تفسيره الكبير الذى بذل فيه جهده وأفرغ جعبته ميبناً فيه آراء المفسرين وآراءه هو التى استنبطها ليحظى الكتاب بالتمديد لدى جمهرة العلماء والمتعلمين .

---

(١) يطبع هذا الكتاب الآن فى الدار العربية فى بيروت ، كما أنه هدف للباحثين بجامعة الأزهر . فقد أخذت أجزاءه السبعة ليعد فى كل منها بحث لنيل درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين .

(٢) هذا الكتاب ومختصره الذى يليه أعدهما الدكتور حسن حبشى الأستاذ بكلية الآداب بجامعة عين شمس للنشر .

والواقع أن الكتاب قد حظى فعلاً بما كان يريد له مؤلفه من التقدير ، غير أنه لم يقدم بالرغم من ذلك من يتصدى له من العلماء بالنقد ، وبخاصة بدير الدين بن القطان الذي تولى كبر هذه الحملة على حد قول المؤلف .

أما الحجة التي استند إليها في التقليل من شأن الكتاب والخط منه ، فهي أن مؤلفه استشهد كثيراً بالتوراة والإنجيل والزبور ، مع أن العلماء قد أجمعوا على حرمة النقل منها كما زعم .

وهنا نرى البقاعي ينرى لخصمه هذا ويهاجمه مهاجمة عنيفة فيذكره بأنه إذا كان مستحرجاً هكذا من النقل عن التوراة والإنجيل فلماذا كان أكثر عشرائه من النصراري والقيبط ، حتى لقد شهر بأنه يشاركهم في بعض عوائدهم ، ومن ذلك أنه رفع الماء في ليلة يرفعونه فيها لما يرفعونه له ، فلامه بعض المسلمين ، فقال : إنه لا يضرنا التبرك بأمر قالوا إن عيسى عليه السلام فعله .

هذا إلى جانب لين عرف عنه في الدين وعدم تمسك ببعض أحكامه ، فهو يروى عنه أن شخصاً من عشرائه حلفته زوجته ألا يشرب الخمر بأيمان منها الطلاق ، ثم بدا له فشكا إليه ذلك ، فحكّم له بعدم وقوع الطلاق لأنه حلف وهو سكران ، ويعقب على ذلك البقاعي بقوله : مع أن هذا قول مرجوح بل منكر في مذهب الشافعي .

ومن سقطاته أيضاً . أن شخصاً من المغنيين ترتب على غنائه فساد غير مرة ، فنعاه السلطان منه وحلفه بأيمان منها الطلاق ونفاه ، فشفع له بعض الأكابر من عشرائه حتى رده السلطان ، ثم أرادوا عوده إلى حاله فاعتل بالأيمان ، فحكّم له ابن القطان بالأشياء عليه لأنه كان مكرهاً . إلى آخر المسائل التي أوردها عنه .

ثم يأتي المؤلف بعد ذلك إلى القضية الجوهرية وهي قضية النقل من الكتب



القديمة ، فيذكر مناظرة وقعت بينه وبين ابن القطان بمحضر من العلامة الشيخ محي الدين الكافيجي الحنفي (١) ، وكان أستاذاً له كما كان أستاذاً لابن القطان ، في الوقت الذي لم يكن يرى فيه رأيه في معارضته للبقاعي في مسألة النقل من الكتب القديمة فيقول :

« . . . ذهبت بكرة إلى العلامة محي الدين الكافيجي الحنفي لأريه ما كان كتبه لي عند قيام أبي العباس على كتابي وأشكره على أمر سمعته عنه وهو أنه نهاهم عن التشذيع عليه ، وأعلمهم أنهم إن فعلوا كان عليهم ، فلما اجتمعت به إذا هو أصلب القائمين معي . . . »

فبينما نحن كذلك إذ بابن القطان قد جاء وكان تلميذه ، فلما جلس عاتبته فإذا هو لين جدا ، قد ضرس مما سمع أتي نسبته إليه ، مع علمه بصدقي وثباتي فيما أقوم فيه ، وعلمه بكذبه في كل ما نسبني إليه غير نقلي من الكتب القديمة على وجه لا اعتراض على فيه ، ثم قلت : تنسبني إلى كفر أول وكانوا قد شنعوا على بآني أريد إشهار التوراة وإخفاء القرآن ، فبادر إلى الإنكار ، والحلف على أنه ما وقع منه ذلك ولا شيء منه ، فقلت أنا مستندى في النقل من الكتب القديمة أئمة أهل الإسلام من الصحابة إلى عصرنا ، وأما هو فلا يقدر أن يأتي على قوله هذا بمستند في كتاب من كتب الشافعية ، اذكر مستندك إلى أي كتاب استندت فلم يقدر أن يأتي يثبت شفة . . . فقلت : كيف تفعل ما لا سند لك فيه وتتكبر على ما سندی فيه من الأئمة الصحابة ومن تبعهم من الأئمة إلى زماننا هذا ، ومن أعظمهم القاضي

---

(١) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي ، محي الدين أبو عبد الله الكافيجي ، وهي نسبة إلى كافي ابن الحاجب في النحو ، الذي كان يكثر الاشتغال به . انتهت إليه رئاسة الحنفية في مصر ، وله تصانيف منها : معراج الطبقات والتيسير في قواعد التفسير والإحكام بمعرفة الإيمان والأحكام وغيرها . انظر الأعلام ٢٢/٧ ، للضوء اللامع ٢٥٩/٧ .

عياض في الشفا تكرر منه النقل من التوراة والإنجيل والزرور ، وبلغني أنكم تقولون عني إنه يقول : قال في التوراة كذا ، ومن يعني بفاعل قال ؟ تريدون أنه إن قيل لكم : الله ، قلم : من أين علمت ذلك ، وما علمتم أنه يكنى في مثل هذا الظن كما في الأحاديث القدسية التي نقلت بالآحاد ، ونقل بعضها بإسناد ضعيف ، ثم يقال فيها ، قال الله كذا ، بل وسائر الأحاديث التي نقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك ، لاسيما الأحاديث الضعيفة ، بل شدد في النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورخص في النقل عن بني إسرائيل كما سيأتي في الفصول عن نص الشافعي .

وجوابي عن ذلك أن فاعل (قال) مترجم الكتاب الذي أنقل منه ، وعلى تقدير أن أقول : هو الله يلزم في ما يلزم القاضي عياض ، فهما أجيب عنه فهو جوابي فقال : لست كالقاضي عياض ، فقلت فحينئذ تريد تخصصي بحكم لا يكون لمن فعل فعلى .

وقيل : إنكم تنكرون نقلي عن بعض الكفرة ، وقد نقل الأئمة منهم هذا النقل في البخاري عن هرقل وابن الناطور وغيرهما ، وفي السير وغيرها عن الأجبار والرهبان والكهان والشياطين ، وفي التفاسير ما لا يحصى من ذلك ، فإن كنت ممن يقبل الحق فمثل هذا الإخفاء معه ، وإلا فان شنت على أني أكتب من التوراة والإنجيل ، شنت عليك بأنك تحكم بالكفر وما معه مما نقل إليك على أني قلته عنك ، والله المستعان .

فأصلح بيننا الكافيحي وكان من أحسن ما وقع في ذلك المجلس أن كلمه شخص من تلاميذي يدعى هو أنه تلميذه أيضاً بما لم يعجبه ، فاستشاط غضبا ، وقال : في بعض كتب الله المنزلة : « أن الله لا يغفر عقوق الأستاذين » فقال له : أذكرك بهذا : فهت شيئاً ، ثم قال : إن صح هذا - فكان من أعجب الأمور أن شخصاً ينكر على آخر استشهاده من الكتب القديمة على صحه دين الإسلام بما يعلم أنه فيها ، ويستشد هو منها

في مجلس المحاصمة بما لم يره في شيء منها . ولا علم له به في كتاب ولا هو متدسك من عرى الصواب بوثيق من الأسباب ، بل هو منابذ لدين الإسلام فإن الله تعالى يقول : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (١) وهذا يقول لا يغفر بعض ما دون ذلك .

• • •

وانتهى هذا المجلس بالمصالحة بين البقاعي وابن القطان ، غير أن الخصومة بينهما لم تنقطع ، بل أخذت مظهراً آخر تمثل في أن أصدقاء كل منهما قد انبرى للهجوم على الآخر ، فقد ألف أصحاب البقاعي كتاباً أمثلاًت بالهزء والسخرية ، واتخذت شكل الأفاصيص حتى يتحدث بها السمار في الحاضرة والأسفار ... الخ ، كذلك فقد أقام ابن القطان شخصاً ينافع عنه سماه البقاعي ( ابن البارذ ) ، ووصفه بأنه عامي لا بصر له بعلم من العلوم ، ولا معرفه برسم من الرسوم .

على أن الأمر حين طال بينهما رأى البقاعي أن ينهيه بوضع كتاب يبحث فيه أمر النقل من الكتب القديمة بحثاً موضوعياً بعيداً عن المهاترة والسخرية مع ذكر الدوافع التي أدت إلى ذلك ، فيقول :

فلما طال الأمر أجيبت أن أذكر ما يشهد بحسن صنيعي في ردى على الأخصام ، في بطلان أديانهم ، واستشهادي على صحة دين الإسلام ، بما يعتقدونه من كتبهم ، فيكون الحججة عليهم به في هذا الكتاب ، وكنت كتبت على وجه دون هذا فكتب عليه صاحبي العلامة نور الدين علي بن محمد المحلى الشافعي (٢) حواشي نافعة مهمة ، فأجيبت أن أذكرها في هذا

(١) سورة النساء آية ١١٦ .

(٢) علي بن محمد بن عبد الله البهرمي ، المحلى الشافعي ( نور الدين ، أبو محمد ) .

ولد بالبهرمس من المحلة وتوفي بها سنة ٨٨٤١ هـ .

وله آثار منها : قلائد النحور لمهور الحور ، وديوان شعر .

انظر معجم المؤلفين ٢١١/٧ ، والضوء اللامع ٣١٤/٥ .

التصنيف معزوة إليه ، فسترها في مواضعها إن شاء الله تعالى ، ورتبته على مقدمة وثمانية فصول وخاتمة .

المقدمة : في بيان أن من شنع على إنما تشنعه لحظ نفسى وغرض شيطانى ، والقول في حسن صنيعى فى الكتاب ، وما فيه من حكمة وصواب .

الفصل الأول : فى كلام مشايخ العصر فى كتابى تقریظاً وإفتاء .

الفصل الثانى : فى حكم النقل من الكتب القديمة لقصد التأييد لدين الإسلام .

الفصل الثالث : فى أدلة ذلك .

الفصل الرابع : فى شواهدة ومؤيداته .

الفصل الخامس : فى كلام الأئمة على الأدلة وما يترأى أنه يخالفها .

الفصل السادس : فى ذكر بعض من نقل منها من الأئمة وأعيان الأمة ، وذكر بعض ما نقلوه .

الفصل السابع : فى أنها هل هى مبدلة وما المبدل منها .

الفصل الثامن : فى أن حكم النقل عن بنى إسرائيل الجواز وإن لم

يثبت ذلك المنقول ، وكذا ما نقل عن غيرهم من

الكفار ، لأن المقصود به الاستثناس بخلاف ما استدل

به فى شرعنا فإنه العمدة فى الاحتجاج للدين فلا بد

من ثبوته .

الخاتمة : فيما يعرف بجلالة كتابى وذلك أمران : الأول : السلامة من

الأمور الشنيعة التى وقع فيها غيرى من المفسرين ونزهت كتابى عنها ، الثانى :

في ذكر شيء مما يدل على تحليه بالكمال وهو قسمان : الأول في تفسير آيات حار في توجيهها العلماء ل والثاني : إيراد تفسير سورة الكوثر لتدل على بقيته .

• • •

وسوف نقوم هنا بنشر الفصول من الثاني إلى الثامن لأنها جوهر الموضوع الذي نتحدث عنه هنا ، وهو حكم النقل من الكتب القديمة ، ولا بد أن نشير قبل ذلك إلى ما ذكره العلامة محي الدين الكافي الحنفي في هذا الصدد فإنه ذو صلة وثيقة بموضوعنا ، وقد أورد رأيه هذا في المقدمة التي سرد فيها المؤلف تقاريط العلماء على مؤلفه ، وهذا هو مايقوله الكافي .

إن نقل شيء من التوراة والإنجيل وغيرهما يجوز من التأليفات في هذا الزمان لغرض من الأغراض المعترية كالاختبار والانتعاض ، وإن لم يجز الاستدلال بها على الأحكام والأصول ، على ما نص به العلماء في الكتب ونظير ذلك خبر المستور الذي لم يظهر قبوله ولارده ، فيجوز العمل به وإن لم يجب ، وقريب من هذا قول الحنفيين : شريعة من قبلنا هي شريعتنا ابتداء إذا حكيت لنا بلا إنكار عليها ، قال الله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ (١) الآية ، والحاصل أن نقل سفر من أسفار التوراة والإنجيل وغيرهما على ما ذكرنا جائز شرعاً لاشبهه قاذحة فيه ، وإن كانت متقدمة في الأوهام ، ومعلوم عندك ألا اعتبار لها بالاجماع على ما مر في أصول الفقه ، فكيف وقد روى في الصحيحين من عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله عليه وسلم : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » .

وقال أهل التحقيق من المحدثين في بيان هذا الحديث : المراد منه  
ها هنا هو التحديث عنهم بالقصص والحكايات ، لأن في ذلك عبرة وعظة  
لأولى الألباب .

وأما النهى الوارد عن كتابة التوراة والإنجيل ففيما عدا القصص والأخبار  
فحصل الجمع والتوفيق بينهما على ما تسمع وترى .

هذا وقيل كان النهى عنها قبل اشتهار شأن القرآن حذراً من الالتباس  
والاشتباه ، ولأجل هذا نهى عن كتابة الحديث قبل اشتهاره ، فلما اشهر  
شأنه أى اشتهار رخص فيها ، وكذا الأمر الذى نحن بصدده .

وقال البيضاوى في تفسير قول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب  
مثلاً ما ﴾ (١) مثل في الإنجيل غل الصدر بالنخالة ، والقلوب القاسية  
بالحصاة ، ومحاطبة السفهاء بإثارة الزنابير ، ومثل هذا وقع كثيراً في سائر  
كتب التفسير كالكشف للزمخشري (٢) والتفسير الكبير (٣) للإمام الرازى ،  
وفي كتب الحديث كصحيح البخارى وغيره أيضاً ، وفي كتب الكلام  
كالصحائف (٤) والمواقف (٥) وغيرهما ، وفي كتب أصول الفقه كاليزدوى  
وغيره أيضاً ، يشهد بذلك كله من يطالعها ويتأمل فيها ولقد ذكر في علم  
التاريخ ، أن القصص والأخبار العجيبة الغريبة كقصة عوج بن عنق وغيرها

(١) سورة البقرة : آية ٢٦ .

(٢) في الأصل : الكشف والزمخشري ، وهى تحريف وصحتها ما أثبتنا ، إذ أن الكشف  
من تأليف الإمام الزمخشري واسمه الكامل : الكشف عن حقائق التنزيل ، وقد طبع مراراً .

(٣) اسمه مفاتيح الغيب ، وقد طبع بالقاهرة في ثمانى مجلدات .

(٤) واسمه الصحائف في الكلام ، وهو للسمرقندى شمس الدين بن محمد ، كشف الظنون

١٠٧٥/٢ .

(٥) المواقف في علم الكلام ، للعلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجى ، وهو

مشهور ، طبع مراراً .

يجوز كتابتها وحكايتها ، وإن كانت غير معلومة الحال لتضمها عبرة وعظة ومصالح ، لقول الله تعالى ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة الأولى الألباب ﴾ (١) ولما اشتهر عند الناس أن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، فإن العلم ببعض خير من الجهل بالكل ، قال الله تعالى : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ (٢) ومن هنا نشأ قول من قال .

فكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك

وأمر آخر : إن نقل القصص والأخبار من التوراة وغيرها قد شاع بين الناس شيوعاً لاخفاء فيه ، فقد حل محل الإجماع السكوتي ، ولهذا وقع كثيراً في كتب السلف بما لا إنكار عليه ، كما وقع في هذا العصر في هذا التأليف المسمى « بنظم الدرر من تناسب الآي والسور » على ما حررنا في سامر .

فإن قلت : فكيف تقبل هذه الدعوى منك ها هنا ، وقد ذكر في بعض كتب علم الكلام أن الكتب السماوية قد نسخت تلاوتها وكتابتها ، قلت : لا استبعاد ها هنا على ما ذكرنا فيما قبل من التفصيل والتحريير ، فيجمل ما ذكرنا ها هنا على نسخ كتابة التوراة الحالية عن الدلالة عليها ، فحصل الجمع بينهما على ما ترى ، وأنت تعلم أن العمدة والمدار في أمثال هذا إنما هو قول الفقهاء المحققين لا قول المتكلمين ، كما تقرر أن صاحب البيت أدري بما فيه ، كما تعلم أن نسخ الوجوب لا يستلزم نسج الجواز

(١) سورة يوسف ، الآية ١١١ .

(٢) سورة طه ، الآية ١١٤ .

كصوم عاشوراء ، فإنه جائز شرعاً وإن نسخ وجوبه ، وتعلم أيضاً أن المشيت  
أولى من النافي ... الخ .

هذا ما ذكره الكافي بصدده هذه المسألة ثم أخذ يعدد محاسن كتاب  
البقاعى بما هو خارج عن موضوعنا ، ولناخذ الآن فى سرد الفصول التى  
سوف نوردتها هنا .



## الفصل الثاني

### في حكم النقل من الكتب القديمة

#### لتأييد دين الإسلام

#### وإبطال مناهب أهل الضلال

لاشك أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي أقواله وأفعاله وتقريراته وهوومه ، إذا تقرر ذلك علم أن الاستدلال على أهل الكتاب بما في التوراة والإنجيل والزبور في صحة دين الإسلام والرد عليهم في اعتقاداتهم الباطلة سنة جليلة ، أمر الله تعالى بها ، فقال تعالى لأشرف خلقه صلى الله عليه وسلم ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ (١) وفعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لهذا الأمر الشريف ، فأتاهم في بيت مدراسهم (٢) وسألهم عن شريعة الرجم للزاني ، فأنكروا أن يكون في توراتهم فأمرهم بالإتيان بها فأتواها ، فترع وسادة كانت تحته ووضعها عليها ، وقال : « آمنت بك وبمن أنزلك » ، مع أنه يعلم أن فيها المبدل إذ ذلك ، لشهادة الله سبحانه في غير آية مما أنزل عليه أنهم حرفوا وكتبوا بأيديهم ما ليس من عند الله ، وقالوا إنه من عند الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إيتوني بأعلمكم » فأتوه به فأمره بقراءتها ، فشرع يقرأ ما قبل آية الرجم وما بعدها ، فأمره عبدالله بن سلام (٣) رضى الله عنه برفع يده

(١) سورة آل عمران الآية ٩٣ .

(٢) المدراس بيت الدروس الذين يتلون فيه كتبهم .

(٣) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ، أبو يوسف ، صحابي ، قيل إنه من

نسل يوسف بن يعقوب .

أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله عبد الله ، وقد نزلت فيه الآية : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » ، والآية : « ومن عنده علم الكتاب » وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية توفي بالمدينة سنة ٤٣ هـ .

انظر تهذيب التهذيب ٥ / ٢٤٩ ، صفة الصفوة ١ / ٣٠١ . الأعلام ٤ / ٢٢٣

فإذا آية الرجم فحينئذ لم يسعهم إلا الاعتراف فافتضحوا حينئذ ، وعلم ما هم عليه من الضلال علماً جلياً لكل واحد ، وعلم من هذا أن الأحسن في باب النظر أن يرد على الإنسان بما يعتقد صحته وأما من كان يتكلم بهواه فليس له دواء إلا بالعلم ، إذا أن من المقرر عند حملة الشريعة من أهل الفقه والأصول أنه إنما يسوغ الرد على المخالف بالمتفق عليه مما يكون مكثرًا له ، أو يقوم الدليل العقلي عليه ، إن كان ثم قدره أو السكوت فإنهم ممن حذر منهم السلف ، قاله الشيخ محي الدين النوري في آخر باب في فضيلة الاشتغال بالعلم من مقدمة شرح المهذب ، وقال البخاري في أول كتاب الفرائض من صحيحه قال عقبه بن عامر رضى الله عنه : « تعلموا قبل الظانين » ، يعنى الذين يتكلمون بالظن ، ومعناه : تعلموا العلم من أهله المحققين الورعين قبل ذهابهم ومحيء قوم يتكلمون في العلم بميل نفوسهم وظنونهم التي ليس لها مستند شرعى ، ولأجل ذلك أرشد شيخه إليه ، فإنه لو استدل عليهم بكتابنا ، ما افتضحوا عند غير المسلمين مثل هذه الفضيحة العامة عند كل ذى عقل ، واقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الصحابة رضى الله عنهم ، لاعتقادهم أن ذلك سنة فيحتاجوا عليهم بكتابهم فيما يؤيد ديننا ويبين ضلالهم ، واقتدى بهم في ذلك التابعون لهم بإحسان إلى عصرنا ، وسيأتى كلام للإمام أبي هاشم محمد بن جعفر في الفصل السادس بمثل دليل الإسلام عند من له أدنى ممارسة .

## الفصل الثالث

### في الدلائل الدالة على أن النقل من المکتب القديمة

لذلك المقصد سنة عظيمة ، وطريقة مستقيمة

ولا أشك في أنه ليس أحد من أهل الزمان يرى ذلك الابداء إلى إنكاره والاسهانة به واستصغاره لكونه لم يرى سلفاً في التصريح به من أئمة الإسلام ، وإن كان مأخوذاً من كلامهم ، وإنكاره ما لم ينظر أوله وآخره ، ويعرف مخالفته للكتاب والسنة وأقوال الأئمة ، غش للدين وأهله ، وظلم عظيم لقائله ، يتعلق لأجله بمن ظلمه يوم الجمع الأعظم ، ليلتي أحدهما صاحبه في نار جهنم ، بل الواجب على كل من وهبه الله علماً ورأه ، أن ينعم التأمل فيه وفي أدلته ، فإن رآه قوياً وجه عليه اتباعه ، وعده فخرأ لصاحبه ، عملاً بما أرشد إليه ما قال النووي في ترجمة الإمام الشافعي من تهذيب الأسماء واللغات ، قال محمد ، يعني ابن عبد الحكم : ليس فلان عندنا بفقيه لأنه يجمع أقوال الناس ويختار بعضها ، قيل : فمن الفقيه؟ قال : الذي يستنبط أصلاً من كتاب أو سنة لم يسبق إليه ، ثم يشعب من ذلك الأصل مائة شعبة ، قيل : فمن يقوى على هذا ؟ قال : محمد بن إدريس .

إذا تقرر هذا ، فالدليل على ما ادعيته الكتاب والسنة وأقوال الأئمة ، قال الله تعالى : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ . وقال الشيخان البخاري في مواضع ، ومسلم ، وأبو داود وهذا لفظه ، والدارمي ، والترمذي في الخلود ، والنسائي في الرجم ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه قال : إن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : فذكروا أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجلبون في التوراة في شأن الزنا؟ فقالوا : نفضحهم ويجلدون ، وفي رواية فقال : ألا تجلبون في التوراة الرجم؟ فقالوا لا نجد فيها شيئاً ، فقال ،

عبد الله بن سلام رضى الله عنه : كذبتم ، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فأتوا بالتوراة فنشروها فجعل أحدهم - وفي رواية مدراسها الذى يدرسها منهم يده على آية الرجم ، فجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفعها ، فقال : هذه ؟ فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما .

قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : فرأيت الرجل يجنأ (١) على المرأة يقيما الحجارة ، وفي لفظ للبخارى في التفسير : أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لا تجلون في التوراة الرجم ، فقالوا : لانجد فيها شيئاً ، فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين .

ولأبي داود عن ابن عمر أيضاً رضى الله عنهما ، قال : أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القفى فأتاهم في بيت المدراس ، فقالوا : يا أبا القاسم ! « إن رجلاً منا زنى بامرأة فاحكمم ، فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فجلس عليها ، ثم قال : اتئوني بالتوراة ، فأتى بالتوراة بها فزرع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها ، ثم قال : آمنت بك وبمن أنزلك ، ثم قال : اتئوني بأعلمكمم ، فأتى بفتى شاب فذكر قصة الرجم بنحو الذى قبله ، رواه أبو داود والحافظ المنذرى في مختصر السنن وسنده حسن ، وسيأتى في الفصل السابع تنمة لهذا نافعة .

ولمسلم وأبي داود ، وهذا لفظه ، والنسائى وابن ماجه ، عن البراء بن عازب رضى الله عنهما ، قال : « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى محمم (٣) ، فدعاهم فقال : هكذا تجلون حد الزانى ، فقالوا :

(١) يجنأ : يميل عليها ويقبها .

(٢) القف ما ارتفع من متون الأرض وصلبت حجارتها .

(٣) محمم أى مسود للوجه ، من الهجمة الفحمة .

نعم ، فدعا رجلا من علمائهم ، فقال : نشدتك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ، فقال : اللهم لا ، ولو أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزاني . كتابنا الرجم ، ولكنه كثير في أشرفنا فكنا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقننا عليه الحد ، فقلنا : تعالوا ، فنجتمع على شيء نقيمه على الشريف الوضيع ، فاجتمعنا على التحميم والجلد ، وتركنا الرجم ، فقال رسول الله صلى الله وسلم : « اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ (١) إلى قوله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (٢) في اليهود أيضاً إلى قوله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (٣) في اليهود أيضاً إلى قوله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ (٤) قال هي في الكفار كلها ؟ يعني هذه الآية .

وروى الواحدى في أسباب النزول (٥) ، عن عمر رضى الله عنه ، قال ، كنت آتى اليهود عند دراستهم التوراة ، فأعجب من موافقه القرآن التوراه وموافقه التوراة القرآن ، فقالوا ، يا عمر ، ما أحد أحب إلينا منك

(١) سورة المائدة الآية ٤١ .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٣) سورة المائدة الآية ٤٥ .

(٤) سورة المائدة الآية ٤٧ .

(٥) أسباب النزول : علم يعرف به سبب نزول سورة أو آية ووقتها ومكانها وغير ذلك ، ومبادئه مقدمات مشهورة ، منقولة عن السلف ، ومن فوائده : فهم معانى القرآن واستنباط الأحكام ، إذ ربما لا يعرف تفسير الآية بدون الوقوف على سبب نزولها مثل قوله تعالى : « أينما تولوا فثم وجه الله » وهو يقتضى عدم وجوب استقبال القبلة وهو خلاف الإجماع ، ولا يعلم ذلك إلا بأن نزولها كان بالنسبة لنافلة السفر ومن صلى بالتحري ، ولا يحل القول إلا بالرواية والسباع عن شاهد التنزيل .

ومن ألف فيه الشيخ الإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ هـ وهو أشهر من صنف فيه .

انظر كشف الظنون ٧٦ .

قلت ، ولم ؟ قالوا : لأنك تأتينا وتغشانا ، قلت : إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً ، وموافقة التوراة القرآن وموافقة القرآن التوراة ، فبينما أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ظهري ، فقالوا : إن هذا لصاحبك فقم إليه ، فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل خوخة (١) من المدينة ، فأقبلت عليهم فقلت : أنشدكم الله وما أنزل عليكم من كتاب أتعلمون أنه رسول الله ، قال سيدهم : قد نشدكم بالله فأخبروه ، فقالوا أنت سيدنا فأخبره ، فقال سيدهم : نعلم أنه رسول الله ، قلت : فإنى أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه ؟ فقالوا : إن لنا عدوا من الملائكة وسلاماً من الملائكة ، فقلت : من عدوكم ومن سلمكم ؟ قالوا عدونا جبريل ، قلت : ومن سلمكم : قالوا : ميكائيل . قلت : فإنى أشهد ما يحل لجبريل ، أن يعادى سلم ميكائيل وما يحل لميكائيل أن يسلم عدو جبريل وأنهما جميعاً ومن معهما أعداء لمن عادوا وسلم لمن سالموا ، ثم قمنا فاستقبلني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا ابن الخطاب ! ألا أقرئك آيات فقرأ : ﴿ من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك ﴾ ... حتى بلغ : ﴿ وما يكفر بها إلا الفاسقون ﴾ (٢) ، قلت : والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود فإذا اللطيف الخبير قد سبقني بالخبر ، فقال عمر رضى الله عنه : فلقد رأيتني في دين الله أشد من حجر .

وروى هذا الحديث أيضاً إسماعيل بن راهويه في مسنده عن الشعبي ، عن عمر رضى الله عنه ، قال شيخنا الشهاب البوصيري . وهو مرسل صحيح الإسناد ، وكذا من الأدلة الظاهرة أيضاً حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه في الصحيح : « حدثوا عن نبي إسرائيل ولا حرج » .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن الفلتان بن عاصم الحربى ، قال : كنا

(١) الخوخة : هى مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب بلغة أهل الحجاز .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٩٨ ، ٩٩ .

ثعوداً عند النبي صلى الله عليه وسلم فشحص بصره إلى رجل في المسجد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : لا ، قال : أتقرأ التوراة ؟ قال : نعم ، قال : والإنجيل ؟ قال : نعم ، قال : القرآن ؟ قال : والذي نفسى بيده لو أشاء لقرأته ، قال : ثم ناشده : هل تجدنى نبياً في التوراة والإنجيل الحديث .

وفي السيرة : في أحوال ما بعد الهجرة ، قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر ، فيما حدثني مولى لآل زيد ابن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه والمصدق لما جاء به موسى ، ألا إن الله قد قال لكم : يامعشر أهل التوراة إنكم تجلبون ذلك في كتابكم . ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ﴾ (١) إلى آخر السورة .

وفي أصل سيرة ابن إسحاق ، حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله ابن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود : «من محمد رسول الله أخي موسى وصاحبه ، بعثه الله عز وجل بما بعثه به ، إني نشدتكم بالله وما أنزل الله على موسى يوم طور سيناء ، وقلق لكم البحر فأنجاكم وأهلك عدوكم وأطعمكم المن والسلوى ، وظلل عليكم الغمام هل تجدون في كتابكم أني رسول الله إليكم وإلى الناس كافة ، فإن كان ذلك كذلك ، فاتقوا الله وأسلموا ، وإن لم يكن عندكم فلا تباعة عليكم .

وفي تفسير البغوي لقوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (١) قال سعيد بن جبير : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له صلى الله عليه وسلم : أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى : أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ، وكان حبراً سمياً ، فغضب وقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء .

وفي القصة أن مالك من الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه ، وقالوا : أليس الله أنزل التوراة على موسى ؟ فلم قلت : ما أنزل الله على بشر من شيء ؟ فقال مالك بن الصيف : محمد [ أغضبني ] فقلت ذلك ، فقالوا له : وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق ؟! فترعوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف .

وفي تلخيص ابن هشام للسيرة في قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه المخرجة في التصحيح ، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يخفيه في بيت ويسأل يهود عنه قبل أن يعلموا بإسلامه ، فلما سأهم ومدحوه خرج عليهم ، فقال لهم : يامعشر يهود ! اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله ، تجلوناه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنياً عن الاستشهاد بهم وبكتابهم ، بما له من المعجزات الباهرات التي أوجب الإيمان به على كل أحد ولم تدع لأحد عذراً لولا شرع مثل ذلك والتنبيه على عظيم جدواه لأنه أقطع في رد الخصوم ، وقد تضمن هذا الفصل من الدليل على حسن صنيعي في تأييد الإسلام والرد على الأخصام من كتبهم ، قول الله والحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يعدل عنه أحد ، لاسيما إذا



انتمى إلى الشافعى ، ومن المعلوم أن الشافعى رحمه الله قال : إذا صح  
الحديث فهو مذهبي ، وتنوعت عباراته في ذلك منه هذا إذا خالف مذهبه  
فكيف إذا وافق المنقول عنه وعن أصحابه وعمل العلماء من أئمة مذهبه  
وغيرهم قديما وحديثا كما هو مشاهد لا يستطاع مكابرتة ، وسيأتى بيان ذلك  
إن شاء الله تعالى ، والله الموفق .



## الفصل الرابع

### في الشواهد الحسن الاستدلال بها

والمؤيدات الدالة على أن ذلك يسرُّ النبي صلى الله عليه وسلم ،  
ومن حال دُون ما يسرُّ النبي صلى الله عليه وسلم كان مُنَابِذًا له مَارِقًا  
من دينه ، عدوًّا لأهل شرعه صلى الله عليه وسلم .

روى أحمد في المسند ، ومسلم في الصحيح ، وأبو داود في السنن ،  
والترمذى في الجامع ، وابن ماجة في السنن ، والطبرانى في المعجم ،  
وأبو عمرو الدانى في كتاب الفتن ، عن فاطمة بنت قيس وكانت  
من المهاجرات الأول رضى الله عنها ، وأبو داود وأبو يعلى عن جابر  
رضى الله عنه ، دخل حديث أحدهما في الآخر ، قالت فاطمة رضى  
الله عنها : سمعتُ نِدَاءَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينادى الصلاة  
جامعة ، فخرجت إلى المسجد في نسوة من الأنصار فصلت بنا رسولُ الله  
صلى الله عليه وسلم الظهر ، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فكنتُ في النساء اللاتي تلى ، وفي رواية : يَلِينَنَ ظُهُورَ الْقَوْمِ ، وفي  
رواية : فكنتُ في الصف المقدم من النساء وهو يلى المؤخر من الرجال ،  
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته صعد المنبر ، وكان  
لا يصعد عليه إلا يوم الجمعة ، فاشتد ذلك على الناس فمن بين قائم  
وجالس ، فأشار إليهم بيده أن اقعدها فإني والله ما قمتُ مقامى لأمر  
ينقصكم لرغبة ولا لرهبة ، وفي رواية جلس على المنبر وهو يضحك ،  
فقال : ليلزم كل إنسان مصلاه ، ثم قال : أتدرون لِمَ جمعتُكم ؟  
قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة

ولكن جمعتمكم لأن تميمًا الدارِي (١) وكان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم ،  
وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مَسِيح ، وفي رواية  
المسيح الدَّجَال .

وفي رواية أحمد ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً  
من الأيام فصلّى صلاة الهاجرة ، ثم قعد على المنبر ففرغ الناس ،  
فقال : اجلسوا أيها الناس ، فإنني لم أقم مقامى هذا ليفزع ، وفي رواية  
له : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم مسرعاً فصعد المنبر  
ونودى في الناس الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فقال : يا أيها الناس  
إني لم أدعكم لرغبة نزلت ولا لرغبة ، ولكن تميمًا أخبرني خبيراً منغى  
القيلوله من الفرح وقرّة العين ، فأحببتُ أن أنشرَ عليكم فرح نبيكم ،  
وفي رواية جابر رضى الله عنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات  
يوم على المنبر ، فقال : يا أيها الناس إني لم أقم فيكم بخبر جاءني من  
السماء ولكن بلغني خبرٌ ففرحتُ به ، فأحببتُ أن تفرحوا بفرح نبيكم ،  
صلى الله عليه وسلم ، أنه بينا ركبٌ ، وفي رواية بينما أناسٌ يسيرون  
في البحر فنقدَ طعامهم فرفعتُ لهم جزيرة ، فخرجوا يريدون الخير  
فلقيتهم الجساسة فذكر الحديث في أمر الدَّجَال .

وفي رواية أحمد : قال عامر يعنى الشَّعْبِي : فلقيت المحرر بن أبي  
هريرة فحدثته بحديث فاطمة بنت قيس ، فقال : أشهدُ على أبي رضى

---

(١) هو تميم بن أوس بن خارجة الدارِي ، أبو رقية ، صحابي ، نسبته إلى الدار بن  
هاني من نهم ، كان راهب أهل عصره وعابِد أهل فلسطين ، أسلم سنة ٩ هـ ، وأقطعه النبي  
صل الله عليه وسلم قرية حبرون (الخليل) بفلسطين ، توفي سنة ٤٠ هـ . انظر صفة الصفوة ١/٣١٠ .

الله عنه أنه حدثني كما حدثتك فاطمة رضى الله عنها ، قال : ثم لقيت القاسم بن محمد ، فذكرت له حديث فاطمة ، فقال : أشهد على عائشة رضى الله عنها ، أنها حدثتني كما حدثتك فاطمة ، وفي آخر الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الأهل كنت حدثتكم ذلك ، فقال الناس : نعم ، قال : فإنه أعجبنى حديثُ تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه ، وعن المدينة ومكة .

وروى الشيخان عن أبي سعيد رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تكون الأرض يوم القيامة خُبْزَةً نزلت لأهل الجنة » فأتى رجل من اليهود ، فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال : تكون الأرض خُبْزَةً ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه .

ومن المشهور قصة سلمان (١) رضى الله عنه في سبب إسلامه بأخبار الرهبان من النصارى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وفي آخرها فأحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه ، رواها ابن إسحاق في السيرة ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، والحاتر بن أبي أسامة ، عن سلمان رضى الله عنه . وروى ابن إسحاق قبل ذكر المعجزات عن أبي سعيد رضى الله عنه ، أنه قال : بينا رجل من أسلم (٢) في غُنَيْمَةٍ له إذ عدا عليه الذئب فذكر قول الذئب لما تعجّب من كلامه :

(١) أى الفارسى ، وانظر خبر إسلامه في أعلام النبوة لأبى نعيم ٨٧ ، وسيرة ابن هشام ١/٢

(٢) اسمه أهبان بن أوس ؛ وانظر الخبر أيضا في « ثمار القلوب » عند قولهم : مكلم

الذئب ، والحيوان ١/٢٩٨ .

أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ ، وَأَنْتَ ههنا تتبع غنمك فَأَتَى فَأَسْلَمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَحْضِرِ الْعِشِيَةَ فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا فَأَخْبِرْهُمْ ، وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحِينَ فِي ثَلَاثِ وَرَقَاتٍ .

ورواه ابن حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي شَرْحِ السَّنَةِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

ورواه مسدد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظه : إِذَا صَلَّيْتُ الصُّبْحَ مَعَنَا غَدًا فَأَخْبِرِ النَّاسَ بِمَا رَأَيْتَ ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ ، وَأَبُو يَعْلَى عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ ابْنُ مَنِيعٍ : فَأَقْبَلَ الرَّاعِي بَغْنَمَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَأَمَرَ فَنُودِيَ : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ : أَخْبِرْهُمْ بِمَا رَأَيْتَ ، فَأَخْبَرَهُمْ .

فَقَدْ عَلِمَ مِنْ هَذَا لِكُلِّ ذِي لُبٍّ أَنَّهُ يَسْرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ مَا يُصَدِّقُ كَلَامَهُ مِنْ قَوْلِ بَنِي آدَمَ ، عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهِمْ ، وَمِنْ كَلَامِ الْوَحُوشِ وَغَيْرِهِمْ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا كَانَ يُظَنُّ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ كَانَ أَجْدَرَ بِذَلِكَ ، وَأَنَّ مَنْ مَنَعَ مِنْ شَيْءٍ كَانَ مُخَالَفًا لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١)

## الفصل الخامس

### في كلام الأئمة على الأدلة وما يترامى أنه يخالفها

قال الإمام شمس الدين الكرماني في شرحه للبخارى ، في أوائل تفسير سورة البقرة ، في حديث « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » ، هذا الحديث أصل في جواز التوقف عما يشكك من الأمور ، فلا يقضى عليه بصحة أو بطلان ، ولا بتحليل أو تحريم ، وقد أمرنا أن نؤمن بالكتب المنزلة على الأنبياء ، إلا أنه لا سبيل لنا إلى أن نعلم صحيح ما يحكونه عن تلك الكتب من سقيم ، فيتوقف فلا نصدقهم لثلا نكون شركاء معهم فيما حرفوه منه ، ولا نكذبهم فلعله يكون صحيحاً فنكون منكرين لما أمرنا أن نؤمن به ، وعلى هذا كان توقف السلف عن بعض ما أشكل عليهم وتعليقهم القول فيه كما سئل عثمان رضى الله عنه عن الجمع بين الأختين في ملك اليمين ، فقال : أحلتها آية وحرمتها آية ، وكما سئل ابن عمر رضى الله عنهما عن رجل نذر أن يصوم كل اثنين فوافق ذلك اليوم عيد ، فقال أمر الله بالوفاء بالذدر ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم العيد ، فهذا مذهب من سلك طريق الورع ، وإن كان غيرهم قد اجتهدوا واعتبروا الأصل ورجحوا أصل أحد المذهبين على الآخر ، وكل ما ينويه من الخير وتنويه من الصلاح مشكور . انتهى .

وهو واضح جداً في أن التوقف إنما هو فيما يُشكك وأما غيره مما عرفنا صدقه أو كذبه بشهادة كتابنا فلا ، كما يأتي عن ابن بطال ، ثم عن نص الشافعي .

قاله الشيخ نور الدين وقوله : ورجحوا إلى آخره موضع تأمل  
وبعد لا نحتاج في ردّ كلام من ادعى الإجماع إلى شيء ، وقال الإمام  
بدر الدين الزركشى في أول كتاب الوصية في شرحه للمنهاج ، وفي البحر  
والحاوي : قبيل الصيد أنه لو أوصى بكتب شريعة موسى وعيسى عليهما  
السلام فإن أراد كتب سيرهم وقصصهم الموثوق بصحتها جاز لأن  
الله تعالى قصها علينا في كتاب ، وإن أراد للأحكام لم يجز كالتوراة  
والإنجيل انتهى ، يحمل قولهم في التوراة والإنجيل على كتابة أحكامه  
للعمل بها لا للاعتبار بما فيها من الإصر مثلا لشكر الله على تخفيفه عنا ،  
وعلى كل حال قد جعل الفيصل في معرفة الصحيح من غيره كتابنا .  
وقال شيخنا حافظ عصره أبو الفضل بن حجر في شرحه في باب قول النبي  
صلى الله عليه وسلم ، « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » هذه الترجمة  
لفظ حديث أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والبيهقي ، من حديث جابر ،  
أن عمر رضي الله عنهما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه  
من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب ، وقال : « لقد جئتكم بها  
بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء ليخبروكم بحق لتكذبوا به ،  
أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه  
إلا أن يتبعني » ورجاله موثقون إلا أن في مجالد ضعفا ، وأخرج البيهقي  
أيضا من طريق عبد الله بن ثابت الأنصاري ، أن عمر رضي الله عنه  
نسخ صحيفة من التوراة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » ، وفي سنده جابر الجعفي وهو  
ضعيف ، واستعمله في الترجمة لورود ما يشهد بصحته من الحديث الصحيح ،  
وأخرج عبد الرازق من طريق حريث بن ظهير ، قال : قال عبد الله :



لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم ، وقد أضلوا أنفسهم فتكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل » وأخرجه سفيان الثوري من هذا الوجه ، بلفظ « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل » وسنده حسن .

قال ابن بطلال عن المهلب : هذا النهي إنما هو في سؤا لهم عما لا نص فيه ، لأن شرعنا مكثف بنفسه فإذا لم يوجد فيه نص ففي النظر والاستدلال غنى عن سؤا لهم ، ولا يدخل في النهي سؤا لهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا ، والأخبار عن الأمم السالفة ، وقوله عن معاوية رضى الله عنه أنه ذكر كعب الأخبار ، فقال : إنه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب ، قوله عن الكتاب أى القديم فيشمل التوراة والصحف ، وقوله لنبلوا أى نختبر ، وقوله عليه الكذب أى يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به .

قال ابن التين ؛ وهذا نحو قول ابن عباس فى حق كعب المذكور بدّل من قبله فوقع فى الكذب ، قال : والمراد بالمحدثين نظار كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم ، فكان يحدث عنهم ، وكذا من نظر فى كتبهم فحدث عما فيها ، قال الشيخ نور الدين ، تأمل هذا الكلام ، فإن فيه تصريحاً بأن كعب الأخبار قد وقع له التحديث بالمبدل ، وعذره ما قال ابن عباس رضى الله عنهما ، ومع ذلك فلم تزل الصحابة رضى الله عنهم يطلبون منه أن يحدثهم ، مع ما ظهر لهم مما هو مذكور هنا . هذا على أن شيخنا حفظه الله تعالى قد وقعت له موافقة ذلك فإن شخصاً من حدّاقهم ، وهو صهر لبعض المشتعين أسلم

وهو يحفظ التوراة إلى الآن ، وله خبرة زعم بالمبدل من غيره ، فهو يميز ذلك من ذلك ، مع أن في تصديق كتاب الله وتكذيبه لما ينقل عنهم غنى عن ذلك ، فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انتهى .

قال ابن التين : ولعلمهم كانوا مثل كعب إلا أن كعباً كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه منه ، وحديث أبي هريرة يعنى في الصحيح : « كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل . . . إلخ » ، كما تقدم في تفسير سورة البقرة ، وقال شيخنا هناك : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، أى إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لأن لا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه أو كذباً فتصدقوه فتقعوا في الحرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفائه ، نبه على ذلك الشافعي رحمه الله ، ويؤخذ من هذا الحديث التوقف عن الخوض في المشكلات والجزم فيها بما وقع في الظن ، وعلى هذا يُحمَلُ ما جاء عن السلف من ذلك ، قال الشيخ نور الدين : وما نبه عليه إمامنا الشافعي رحمه الله دال على أنه يجوز نقل المبدل لردّه ، فضلاً عن نقل غيره الإلزام به ، أو بيان ما انغلق عليهم منه ، أو الاستشهاد لغيره بحكاية عنه ، ومن المعلوم أن شيخنا مقلد لإمامه غير ملتفت لمن شدّ عنه ، مما لا يصح بوجه مع كونه قادحاً في الأئمة الأعلام ، ثم ساق ما يأتي في الفصل الثامن نقله عن نص الشافعي من شرح ألقية العراقي ، وقال : ويشهد بذلك من له أدنى مطالعة في علم الحديث مع قدرة على فهم ، إذا تقرّر ذلك

علم أن من عارض قول إمامنا أنه لا بأس بالتحديث بقوله : أن ثم بأساً  
غير منظور إليه ولا معلوم به ، فضلاً عن أن يلتفت إليه أو يشتغل به .  
انتهى .

وقال شيخنا في حديث أبي هريرة رضى الله عنه : هذا في كتاب  
الشهادات ، الغرض منه هنا النهى عن تصديق أهل الكتاب فيما لا يعرف  
صدقه من قبل غيرهم ، انتهى .

رجع إلى هذا الباب ، وقوله : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم  
لا يعارض حديث الترجمة ، أى وهى لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء  
فإنه نهى عن السؤال ، وهذا نهى عن التصديق والتكذيب ، فيحمل  
الثاني على ما إذا بدأهم أهل الكتاب بالخبر ، وقد تقدم توجيه النهى  
عن التصديق والتكذيب في سورة البقرة ، يشير إلى ما تقدم أن الشافعي  
نبه عليه ، قال : وأثر عن ابن العباس رضى الله عنهما : « كيف  
تسألون أهل الكتاب عن شيء تقدم شرحه في كتاب الشهادات ،  
قال : هناك أهل الكتاب أى من اليهود والنصارى وكتابكم أى القرآن  
أحدث الأخبار بالله ، أى أقربها نزولاً من عند الله فالحديث بالنسبة  
إلى المنزل إليهم وهو في نفسه قديم ، ولم يُشَبَّ بضم أوله وفتح  
المعجمة أى يُخلط ، ووقع عند أحمد من حديث جابر رضى الله عنه  
مرفوعاً : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا .

وقال في باب ما يجوز من تفسير التوراة وكتب الله : والحاصل  
أن الذى بالعربية مثلاً يجوز التعبير عنه بالعبرانية وبالعكس انتهى .

وفي القرآن ما لا يحصى من ترجمة أقوال من تقدم من الأنبياء

عليهم السلام ، وغيرهم من الصالحين والطلحين بالكلام المعجز ،  
وفيه نسبة الأقوال إليهم ومن المعلوم قطعاً أن عبارة كل منهم ما كانت  
إلا بلسانه انتهى .

هذا ما نقله الأئمة عن الشافعي وغيره من شرح ما لعله يخالف  
ما سقته من الأدلة على سنية النقل لما يؤيد شرعنا ، أو يكون فيه عبرة  
وعظة ، ولا يخالف الشريعة ورده إليه ، وقد علم منه أن ما رده كتابنا  
جاز رده بل حُتِم ، وما قبله جاز قبوله بل لزم ، وأمّا ما قاله الشافعية  
في كتب الفقه تبعاً لإمامهم : فمن ظن أنه مخالف لذلك فداؤه عيَاء ،  
ومرضه لا ينفع فيه الدواء ، ولا يقع ذلك إلا لمن لم ترسخ قدمه في  
الفقه ، ولا أحكمه التحنيك بملازمة المشايخ ، قال الإمام أبو القاسم  
الرافعي في شرحه : وكتب التوراة والإنجيل مما لا يحل الانتفاع به  
لأنهم بدّلوا وغيروا ، وكذا قال غيره من الأصحاب ، وهو مخصوص  
بما علم تبديله بدليل أن كل من قال ذلك علل بالتبديل ، فدار الحكم  
معه ، ونصّ الشافعي ظاهر في ذلك ، قال المزني عنه في مختصره في  
جامع السير : وما كان من كتبهم أي الكُفّار فيه طِبُّ وما لا مكروه فيه  
بيع ، وما كان فيه شرك أبطل وانتُفع بأوعيته ، وقال في الأم في  
سير الواقدي في باب ترجمته كتب الأعاجم : قال الشافعي : وما وُجد  
من كتبهم فهو مَنعَم كله ، وينبغي للإمام أن يدعو من يترجمه فإن  
كان علماً من طب أو غيره لا مكروه فيه ، باعه كما يبيع ما سواه  
من المغانم ، وإن كان كتاب شرك شقوا الكتاب فانتفعوا بأوعيته  
وأداته فباعها ، ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل أن يعلم ما هو ، انتهى .

فقوله في الأم كتاب شرك ، مفهم لأنّه كله شرك ، ولهذا عبر

المزني عن ذلك بقوله : وما كان فيه شرك أى من أبواب الكتاب  
وفصوله ، ويوضح هذا جداً قول الرافعي ، في شرح قول الوجيز ، في  
باب الأحداث : ويجب إهلاك كتبهم التي لا يحل الانتفاع بها ،  
وفي جواز استصحابها لفائدة تعرف مذاهبهم خلاف ، قال الإمام : وقد  
يخطر للفتن أن كتب الشرك ينتفع بها على معنى أن الحاجة تمس  
إلى الاطلاع على مذاهب المبطلين ليوجه الرد عليها ، فإن كانت تلك  
المقالات مشهورة فالرأى بإبطالها ، وإن كان فيها ما لم يتقدم الاطلاع عليه  
ففي جواز استصحابه : قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في السير من  
مختصر النهاية : ليعرف مقالاتهم ويرد عليهم : تردد واحتمال بين انتهى .

وأدل من ذلك قولهم في باب الأحداث : أن حكمها في الاحترام  
بالإكرام بتنزيها عن مس المحدث لها كاحترام القرآن بلا خلاف ،  
لكن هل تلحق بما لم ينسخ فيه ليحرم المس أم بما نسخ ليكره ، رجحوا  
أن حكمها في ذلك حكم ما نسخت تلاوته من القرآن في أصح  
الوجهين ، وهذا الحكم مذكور في الروضة ، والشرحين ، والكفاية  
ومختصرها ، والبهجة نظم الحاوي ، وغير ذلك من كتب المذهب .

والتعبير بالأصح على ما اصطلحوا عليه يدل على أن الوجه القائل  
بحرمة مس المحدث لها قوي ، وعبرة محرر المذهب الشيخ محيي الدين  
النووي رحمه الله في مسائل ألحقها في آخر باب الأحداث من شرح  
المهذب ، الثالثة : يجوز للمحدث مس التوراة والإنجيل وجملهما ،  
كذا قطع به الجمهور ، وذكر الماوردي والرويانى فيه وجهين ، أحدهما  
لا يجوز والثاني : قالوا وهو قول جمهور أصحابنا : يجوز لأنها مبدلة منسوخة ،  
قال المتولى : فإن ظن أن فيها شيئاً غير مبدل كره مسه ولا يحرم انتهى .

ولا شك أن كراهة مسّ المحدث لها للاحترام ، والاحترام فرغ  
جواز الإبقاء والانتفاع بالقراءة والسماع ، وأصرح من ذلك كله قول  
الشافعي رحمه الله : إن ما لا مكره فيه يُباع ، وكذا قول البغوي في تهذيبه  
في آخر باب الوضوء ، وكذلك لو تكلم أي الجنب بكلمة توافق نظم  
القرآن أو قراءة آية نسخت قراءتها أو قراءة التوراة ، والإنجيل ،  
أو ذكر الله سبحانه أو صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فجانزاً ،  
قالت عائشة رضي الله عنها : كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله  
على كل أحيانه ، فإنه لا يتخيل أنه يجوز للجنب ما لا يجوز للمُحَدِّث ،  
بل كُلُّ ما جاز للجنبِ قراءتهُ جاز للمحدث ولا عكس ، وتعليقه لذلك  
بحديث عائشة رضي الله عنها دالٌّ على أن ذلك ذكر الله تعالى ، وأما  
قولهم في الوصية إنها لا تجوز بمعصية مثل كتب التوراة والإنجيل  
أو قراءتهما ، فالمراد به كتابتهما على ما هما عليه وقراءتهما كذلك ،  
فإن من العلوم فيهما المبدل وكتابتهما وقراءتهما كذلك لإقرار بجميع  
ما فيهما ، أو تسليط على الإقرار به ، وأما إذا عقب الصحيح بما يليق به  
من بيان مصادقته للقرآن وتأييده به ، والمبدل ببيان فساده بتكذيب  
القرآن له ، فليس بداخل في ذلك ، وعلى هذا دل كلام الشافعي كما  
يأتى عنه في الفصل السابع ، حيث قال : ولو أوصى أن يُكْتَبَ بِثُلْثِهِ  
الإنجيل والتوراة ويدرس لم تجز الوصية ، لأن الله عز وجل قد ذكر  
تبديلهم منها ، فتأمل تقييده بقوله يدرس يتضح لك ذلك ، ولا يجوز  
طرد هذا في تفاصيل الكتابين لثلا يضيع تحليل الإمام رحمه الله بالتبديل ،  
ولا حمل المنع المذكور في باب السير وغيره على العموم ، لثلا يتناقض  
مع إطلاقهم القول في باب الإحداث بالاحترام ، ولا قولهم بالاحترام

على العموم ، لثلا يتناقض ما قالوه في باب السير من إطلاق المنع ، بل إطلاقهم في كل من البابين مقيد بما في الآخر ، فإطلاقهم الجواز في باب الإحداث مخصوص بما لم يبدل ، وإطلاقهم المنع في باب السير وغيره محمول على المبدل ، ويزيد ذلك عندك وضوحاً ملاحظة ما نقل عن القاضي الحسين أنه يجوز الاستنجاؤ بهما ، لأنه مبنى على القول القائل بأن الكل مبدل ، وهو ضعيف كما يأتى ، أو محمول على المبدل منهما ، لأنه لا يخفى على أحد أن مسلماً فضلاً عن عالم لا يقول إنه يستنجى بنحو ما فيها من نحو قول الله لجميع هذه الآيات كلها : « أنا الربُّ إلهك الذى أصعدتك من أرض مصر من العبودية والرق لا يكونن لك آلهة غيرى ، لا تعملن شيئاً من الأصنام والتماثيل التى مما فى السماء فوق ، وفى الأرض تحت ، ومما فى الماء أسفل الأرض لا تسجدن لها ولا تعبدنها ، لأنى أنا الرب إلهك ، لا تقسم بالرب إلهك كذباً ، لأن الرب لا يُزكى من حلف باسمه كذباً ، أكرم أباك وأمك لبطول عمرك فى الأرض التى يعطيها الرب إلهك ، لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، ولا تشهد على صاحبك شهادة زور . »

هذا آخر ما أردت ذكره من الدليل على سنية إطلاق ذكر ما لا مكروه فيه من الكتب القديمة ، للرد على أهلها به ، أو التنبيه على مصادقته لكتابنا ، وإلزامهم به ونحو ذلك من الفوائد التى لا تخفى على منصف ، مثل ظهور إعجاز القرآن ظهوراً بيّناً للذكى والغبي ، فإنه كما قيل : وبضدها تتبين الأشياء ، وأما المبدل فلا يحل ذكره إلا مقروناً ببيان أنه مبدل لبعده زمنه ، وذلك نحو ما قاله الأئمة فى الحديث الضعيف والموضوع ، والله الموفق .

ولم يبق بعد معرفة هذه الأدلة وما ذكر من شرحها وبيانها من كلام الأداة إلا اتباعها ، والوقوف عندها أو القول بالتشهي والتحكم الذي لا يسوغ ولا يعبأ بقائله ، ولا يلتفت إليه ولا يعول بوجه عليه ، كما نقل ذلك عن إمامنا الشافعي الإمام سراج الدين البلقيني في أواخر قسم الفقيه والغنيمة من ترتيبه لكتاب الأم ، قال : ومن خالف شيئاً مما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فليست في قوله حجة انتهى . وقال الشافعي في أواخر كتاب اختلاف الحديث من كتاب الأم في آخر باب نفي الولد يخاطب شخصاً : قال له : لا أنفي الولد باللعان وأجعل لزواج المرأة بكل حال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الولد للفراش » ، أرأيت رجلاً لو عمد إلى سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخالفها أو إلى أمر عرف عوام من العلماء مجتمعين عليه ولم يعلم لهم فيه منهم مخالفاً فعارضه أتكون له حجة بخلافه ؟ أم يكون بها جاهلاً يجب عليه أن يتعلم ؟ لأنه لو جاز هذا لأحد كان لكل أحد أن ينقض كل حكم بغير سنة ، وبغير اختلاف من أهل العلم ، فمن صار إلى مثل ما وصفت من أن لا ينفي الولد بلعان ، خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ما لم أعلم المسلمين اختلفوا فيه ، ثم من أعجب أمر قائل هذا أنه يدعى القول بالإجماع وإبطال غيره ، فما يعدو أن يكون رجلاً لا لا يعرف إجماعاً ولا افتراقاً في هذا ، ويكون رجلاً لا يبالي ما قال . انتهى

وقال الدارمي : أخبرنا الحسن بن بشر ، حدثنا المعافي ، عن الأوزاعي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز : أنه لا رأى لأحد في كتاب الله ، وإنما رأى الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم تسر به سنة من رسول



الله صلى الله عليه وسلم ، ولا رأى لأحد في سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا موسى بن خليل ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن عبد الله ابن عمر ، أن عمر بن عبد العزيز خطب فقال : يا أيها الناس إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبياً ، ولم ينزل بعد هذا الكتاب الذى أنزل عليه كتاباً ، فما أحل الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهو حلال إلى يوم القيامة ، وما حرم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهو حرام إلى يوم القيامة ، ألا وإنى لست بقاض ولكنى منفذ ، ولست بمبتدع ولكنى متبع .

وقال الشافعى فى أواخر الرسالة فى باب الاجتهاد : ولم يجعل الله لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعقل إلا من جهة علم مضى قبله ، وجهة العلم بعد الكتاب والسنة والإجماع والآثار ، ثم ما وصفت من القياس عليها ولا يقيس إلا من جمع الأدلة التى القياس بها ، وهى العلم بأحكام كتاب الله فرضه وأدبه ، وناسخه ومنسوخه ، وعامه وخاصه وإرشاده ، ويستدل على ما احتمال التأويل منه بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا لم يجد سنة فإجماع المسلمين ، فإن لم يكن إجماع فبالقياس ، ولا يجوز لأحد أن يقيس إلا أن يكون عالماً بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف ، وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب ، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل وحتى يفرق بين المشتبه ، ولا يعجل بالقول فيه دون التثبت ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يثبت بالاستماع لترك الغفلة ويزداد به تثباً فيما اعتقد من الصواب ، وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده ، والإنصاف من نفسه

حتى يعرف من أين قال ما يقول ، وترك ما يترك ، ولا يكون بما قال ،  
أعنى منه بما خالفه حتى يعرف فضل ما يصير إليه على ما يترك إن شاء الله ،  
قال محمد : فأما من تم عقله ولم يكن عالماً بما وصفنا فلا يحل له أن  
يقول بقياس ، وذلك أنه لا يعرف ما يقيس عليه كما لا يحل لفقير  
عاقل أن يقول في ثمن درهم ولا خبرة له بسوقه ، ومن كان عالماً بما  
وصفنا بالحفظ لا بحقيقة المعرفة فليس له أن يقول أيضاً بقياس ،  
لأنه قد يذهب عليه عقل المعاني ، وكذلك لو كان حافظاً مقصر العقل  
أو مقصراً عن علم لسان العرب ، لم يكن له أن يقيس من قبل نقص  
عقله عن الأدلة التي يجوز بها القياس فلا نقول يصح هذا والله أعلم .

## الفصل السادس

في ذكر بعض من نقل من الكتب القديمة  
من الأئمة وأعيان الأمة

وذكر بعض ما نقلوه منها ويلحق به ما نقل عن أهل الأديان كلهم من اليهود والنصارى والمشركين والكهان والشياطين ، وفيه من أقرأ كتب أهل الكتاب من المسلمين ومن يقبل جرحه وأدب العالم في إخفائه ما يخشى به الفتنة على من لا يبلغه فهمه ، كما أنه يوحى به إيمان من يراه من أهل الكتاب . وإن طال الزمان ، روى البخارى في صحيحه الذى تلقته الأمة بالقبول ، وتبركوا به في الارتحال والحلول ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، أنه قال : وقد سئل عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وحرزاً للأمة ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صحاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينا عمياء ، وآذاناً صماء وقلوباً غلفاء ، وقال صاحب كتاب الشفا الذى هو شفاء القلوب وجلاء الكروب ، وهو القاضى عياض ، أحد الأئمة الأعلام ، وحفاظ الإسلام ، الذى انتشر كتابه في أقطار الآفاق وبهر ضياؤه حتى فاق النيازك في الإشراق بعد أن ساق الحديث المذكور ، وذكر مثله عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه وكعب الأحبار انتهى ، والذى عن عبد الله فى البيوع من البخارى من رواية عطاء عنه كالذى قبله ، وللدارمى عن كعب الأحبار ، قال : نجد مكتوباً فى التوراة محمد

رسول الله عبدى المختار ، فذكر حديثاً للترمذى وقال : حسن غريب  
عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه ، قال : مكتوب فى التوراة صفة  
محمد وعيسى بن مريم عليهم السلام يدفن معه الحديث وقال فى نحو  
النصف من الباب الثانى من القسم الأول قالت عائشة رضى الله عنها فى  
الصحيح لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا مستفحشاً الحديث ؛  
ثم قال وقد حكى مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام  
وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم انتهى ، وقد سمع جماعة  
من الصحابة رضى الله عنهم من بنى إسرائيل كعب وغيره منهم العبادة  
وغيرهم فقد قال أئمة الحديث إن الصحابى إذا نقل شيئاً لا يقال مثله  
بالرأى إنه مرفوع فى الحكم إلا إذا كان الصحابى من أهل الكتاب وفى  
الصحيح عن معاوية رضى الله عنه أنه ذكر كعب الأحبار ، فقال  
إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن ( أهل ) الكتاب  
وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب ، وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه ،  
قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية  
لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ  
الكتاب ولا تكذبوهم » وقولوا آمناً بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم  
ولم يقل : لا تسمعوا منهم ، ولا تنقلوا عنهم ، وقد تقدم التعريف  
بالمراد من النهى عن التصديق والتكذيب عن الشافعى وغيره ، ولو  
يكن للناقل عنهم سندٌ إلا سنة النبى صلى الله عليه وسلم لكان فيها أتم كفاية  
فكيف وقد سمعت ما تلى عليك من أقوال العلماء فى ذلك .

وقال القاضى عياض أيضاً فى الشفا، فى أواخر الباب الثالث ومعنى  
قوله لى خمسة أسماء قيل : إنها موجودة فى الكتب القديمة وعند أولى

العلم من الأمم السالفة ، وقال بعده بقليل ، وقد وقع أيضًا في كتب الأنبياء قال داود عليه السلام : اللهم ابعث لنا محمدًا مقيم السنة بعد الفترة ، قال الشيخ نور الدين المحلّي : في هذا اعتماد على أهل الكتاب في نسبة القول إلى الأنبياء عليهم السلام الذين لم ينطقوا عن الهوى ، وفيه ترجمته بالعربية مع نسبته إليهم . . انتهى .

وقال القاضي عياض أيضًا بعد ذلك بقليل : ومن أسماه صلى الله عليه وسلم في الكتب : المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق ، وهو معنى البار قليط في الإنجيل .

ومن أسماه في الكتب السالفة : ما ذا ما ، ومعناه : طيب طيب وحمّطايا والخاتم والحاتم ، حكاة كعب الأحبار ، ويسمى بالسريانية مشنقح والمنحمن ، واسمه أيضًا في التوراة أحيد ، روى ذلك عن ابن سيرين ، ومعنى صاحب القضيبي أي السيف ، ووقع مفسرًا في الإنجيل : معه قضيبي من حديد يقاتل به وأمه كذلك .

قال الشيخ نور الدين ، قوله : قال . . . إن اعترض معترض ، وسأل عن فاعل قال من قول شيخنا في نظم الدرر إن وجد قال في التوراة ما هو ؟ فيجاب بأنه أراد بفاعل قال ما أراد هذا العلامة انتهى .

قال : وأوصافه وألقابه وسماته في الكتب كثيرة ، وما ذكرنا منها مقنع ، وقال بعد ذلك بقليل فمحمد بمعنى محمود ، وكذا وقع اسمه في زبور داود ، وقال بعده بيسير : ووقع في أول سفر من التوراة عن إسماعيل عليه السلام : وستلد عظيمًا لأمة عظيمة ، وسمى النبيّ صلى الله عليه وسلم في كتاب داود عليه السلام بجبار ، فقال : تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك .

قال الشيخ نور الدين : قوله فقال إلى آخره فاعل قال : الكلام عليه كالذي قبله انتهى .

وقال بعد ذلك بقليل : وقال في التوراة والإنجيل في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ، قال الشيخ نور الدين ، والكلام في فاعل قال هذا أيضًا كما تقدم ، انتهى .

وقال في أواخر الباب الرابع ، فصلٌ ومن دلائل نبوته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأخبار وعلماء أهل الكتاب ، إلى أن قال : وما أني من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنها ثقات من أسلم منهم ، وعد جماعة ممن أسلم ، ثم قال : وقد اعترف بذلك هرقل ، وعدّ جماعة ممن مات على كفره إلى أن قال : وقد قال لهم : ﴿ قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى غير ذلك مما فيه ، ولا ينكره فقيه ولا فاضل نبيه .

قال الشيخ نور الدين : إن أنكر معترض قول شيخنا في نظم الدرر وقال متى أو مرقس أو غيرها ممن اشتهر عند الكتاب أنهم من حواربي السيد عيسى عليه السلام فيقال له لا يتقاعد نقله عنهم عن نقل هذا الإمام عن الأخبار والرهبان وعلماء أهل الكتاب ، فما أجيب عن هذا فهو الجواب عنه وقوله وعلماء أهل الكتاب عام في مؤمنهم وكافرهم فلا يعترض على من قال : وأخبرني بعض فضلائهم يعني أهل الكتاب وقوله العلماء هو كما يراه من له أدنى مسكة وفهم ، مناد بالإنكار على من ادعى الأجماع ، ومغبر في وجهه ، فافهمه وقوله وقد اعترف إلى آخره سئل لم جعل هذا الإمام كلام هؤلاء الكفرة دلائل مع أن الدين

مستغن عن ذلك بما فيه من البراهين القواطع، وهل هو إلا لأن قطع الخصم بما يعتقده أتم وأحسن يشهد بذلك من حنكته الدراسة انتهى .  
وأما ابن ظفر في كتابه « خير البشر بخير البشر » فأكثر من ذلك جداً من التوراة والإنجيل وسفر أنبياء بنى إسرائيل والزبور ، ولم يزل الناس يعظمون هذا الكتاب ويبالغون في تعظيمه ، فالظن فيهم هو مثل هذا المنقول في هذا الزمان عن هؤلاء الأئمة طعن فيهم ، والظن فيهم وهم حَمَلَة الدين والمبلغون له طعن في الدين وهدم لاعتقاد المسلمين .

وفي السيرة لإمام أهل المغازي محمد بن إسحاق تهذيب الإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام ، بعد قصة ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنهما ، صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل (١) ، قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم عليهما السلام فيما جاء من الله في الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثبت يحسن الحوارى لهم حين نسخ لهم الإنجيل من عهد عيسى بن مريم عليهما السلام ، أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوني وأيضاً للرب ولكن لا بد أن تتم الكلمة التى فى الناموس ، أنهم أبغضونى مجاناً ، أى باطلاً فلو قد جاء المنحمننا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب روح القسط ، هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد على وأنتم أيضاً لكنكم قديماً كنتم معى فى هذا ، قلت لكم لكى لا تشكوا . فالمنحمننا بالسريانية محمد صلى الله عليه وسلم وهو بالرومية

البنار قليطيس ، ولا يخفى ما قال في السيرة بعد هذا مما نسبته قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم مما يجافى عنه منصبه الشريف ومقداره العالى ، وقولهم : إنا نعبد الملائكة وهى بنات الله ، وقولهم لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا ، ونحو ذلك من فجورهم ، إلى غير ذلك من كلماتهم الباطلة ، ومن حكاية مذاهب الجاهلية وما كانوا عليه من الفصائح ، وقال ابن هشام ، فى وفد نصارى من نجران : فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والأبهم السيد ، وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة ، وكذلك قول النصرانية فهم يحتجون فى قولهم هو الله بأنه كان يُحيى الموتى ، ويبرئ الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائراً ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى ، ولنجعله آية للناس ، ويحتجون فى قولهم أنه ولد بأنهم يقولون لم يكن له أب يُعلم ، وقد تكلم فى المهدي ، لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ، ويحتجون فى قولهم أنه ثالث ثلاثة بقول الله فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فقلت وقضيت وأمرت وخلقنت ، ولكنه هو وعيسى ومريم ، ففى كل ذلك من قولهم نزل القرآن ونقل هذا الكفر عنهم المفسرون البغوى والأصفهاني والبيضاوى وغيرهم فى السير أيضاً ، والتفاسير عند ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ (١) وعند ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ (٢) وغير ذلك من

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٦٤ .



الآيات التي حكى الله كفرهم فيها ، من حكايات كفرهم التي شرح الله لنا ذكرها ، لنها أشياء تقشعر من سماعها الجلود ثم ذكر بعد هذا أمر النجاشي رضي الله عنه لما أرسلت إليه قريش في أمر من هاجر إليه من الصحابة رضي الله عنهم ، وأن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ عليه صدرأ من كهيعص بكى وبكت أساقفته ، وقال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، ولاشك أن التوراة كان قد بُدِّلَ فيها قبل ذلك ما بُدِّلَ ، فلا ينصرف قوله إلا إلى ما عرف أنه غير مبدل ، ولا سبيل له إلى معرفة ذلك إلا أحد أمرين : إما قائلٌ يعتقد صدقه وعلمه ، وإما صُحُفٌ يُعْتَقَدُ حفظها ، وكل من الأمرين يطرقه احتمال ، فنحن أعرف منه بتمييز المبدل من غيره من كتابنا المهيمن على كل كتاب وهو المحفوظ الذي لا يطرقه شك أصلاً ، لأن من سمعه فكأنما سمعه من الذي جاء به صلى الله عليه وسلم لأنه معجز لا يمكن الإتيان بمثله ، ومحفوظ لا يمكن تبديله ، ومتواتر لا يجوز انقطاع تواتره ، ومثل ما ذاق النجاشي رضي الله عنه أمر القرآن وما صح من التوراة ، كذلك ذاق ورقة حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما سمع منه : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، كما هو في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها .

وقال الإمام ناصر الدين البيضاوي بن شمس الدين محمود الأصبهاني في تفسيره في قوله تعالى ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ (١) في أول الكلام ، ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة

كَالزُّوَانِ وَالنُّخَالَةِ وَحَبَّةِ الْخَرْدَلِ وَالْحَصَاةِ وَالْأَرْضَةَ وَالذُّودَ وَالزَّنَابِيرَ ،  
وعند قوله ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ (١) . ومنها أخذ  
الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه  
واتبعوه ، ولم يكتفوا بذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم لقوله  
﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (٢) . وقوله في الإنجيل لعيسى عليه  
السلام : « سَأَنْزِلُ عَلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ نَبَأُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَبَأُ مَا أَرَيْتُهُ  
إِيَّاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ وَمَا أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ وَمَا نَقَضُوا مِنْ مِيثَاقِهِمُ الَّذِي  
وَاتَّقُوا بِهِ » .

قال الشيخ نور الدين يسأل عن مرجع المضاف إليه يعني  
في قوله وقوله في الإنجيل ما هو ، على أنك إذا تأملت رأيت أنه  
لا إشكال في إسناد ذلك إلى الله تعالى عند ظن صحته ما أسند ، ولم لم  
يصل ذلك إلى القطع ، يشهد لذلك أن المحدثين لم يوجبوا بيان حال  
الحديث الضعيف ، مع أن جملة الأحاديث القدسية ، يقال فيها  
قال الله كذا إلى آخره ، فإن ادعى أن المحدثين كلهم يخطئون فلا إشكال  
حينئذ ، نعم إن قيل بعض الناس لا يتعلق به هذه الأحكام بل ينفرد  
بأحكام مختصة به يقرب إذن انتهى .

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ (٣)  
فمنهم من قال إنه أي إبليس كان كافراً أبداً يدل على ذلك ما نقل  
عن شارح الأناجيل الأربعة أنه وقع المناظرة بين الملائكة وبين إبليس

(١) سورة البقرة ٣٩ .

(٢) سورة البقرة ٤٠ .

(٣) سورة البقرة ٣٤ .

بعد الأمر بالسجود وإبائه ، قال إبليس للملائكة إني أسلم أن الله خالقى وخالق الخلق ، لكن لى على حكمته أسئلة سبعة ، الأول : ما الحكمة فى الخلق لاسيا إذا كان عالماً بأن الكافر لا يستوجب عند خلقه إلا الألم ؟ وسرد السبعة ، وقال بعدها : فأوحى الله تعالى إليه من سرادقات الجلال والكبرياء : يا إبليس إنك ما عرفتنى ولو عرفتنى لعلمت أنه لا اعتراض علىّ فى شئ من أفعالى ، فإنى أنا الله لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل ، قال الشيخ نور الدين : يُسئل عن حال هذا الشارح الذى نقل عنه هذا الإمام أمسلم هو أو لا ؟ فإن كان الأول فقد شرح زيادة على نقله للإلزام أو بيان ما انغلق عليهم منه إلى غير ذلك ، هذا المسلم أما من المعلوم أن الأصح أن فيه المبدل فمحل النزاع أولى وإن كان الثانى فقد نقل هذا الإمام عن شرحه لما منع النقل منه لما تقدم فغير متقاعد محل النزاع عنه ، هذا مع أن من جملة ما نقل شبهة إبليس المعلوم كفروه المقتضية وهن الدين لردّها فالرجوع إلى الحق أولى انتهى .

وقال فى تفسير قوله ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) نقلا عن الإمام الرازى هذا آخر الآيات الدالة على النعم التى أنعم الله بها على جميع بنى آدم وهى دالة على التوحيد موافقا لما فى التوراة والإنجيل ، وقال فى تفسير ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْف ﴾ المراد بعهدى أربعة أقوال ، أحدها : ما عهد إليهم فى التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه سيبعثه على ما قال الله تعالى فى الأعراف ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ (٢) الآية .

(١) سورة البقرة الآية ٣٩ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٦ .

ثم قال ولنذكر بعض ما جاء في كتب الأنبياء المتقدمين من البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ، منها : ما جاء في الفصل التاسع من السفر الأول من التوراة أن هاجر لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملكٌ فقال لها : يا هاجر ! أين تريدين ؟ ومن أين أقيبت ؟ قالت : أهرب من سيدتى سارة ، فقال لها : ارجعى إلى سيدتك واحفظى لها ، فإن الله سيكثر زرعك وذريتك وستحملين وتلدين ابناً وتسميه إسماعيل من أجل أن الله سمع تلبينك وخشوعك ، وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ، ومنها ما جاء في الفصل الحادى عشر من السفر الخامس : إن الرب إلهكم مقيم لكم نبياً من بينكم ومن إخوتكم ، وفي هذا الفصل أن الرب قال لموسى وأى رجل لم يسمع كلامى الذى يؤديه أنا منتقمٌ منه ، وفي تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَمَّنُوا بِمَا نَزَّلْتُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ ومعنى مصدقا أنه حصلت البشارة لمحمد وبالقرآن فى التوراة والإنجيل ، فيلزم الإيمان به ، لأن التوراة والإنجيل قد شهدا على صدق النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذكر الله هذا الكلام ليكون حجة على بنى إسرائيل ، وفى وجوب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا الكلام يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من وجهين ، الأول أن شهادة كتب الأنبياء عليهم السلام لا تكون إلا حقاً ، والثانى أنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك إلا من قبل الوحي ، وفى تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ (١) لأنهم يتهودون أى يتحركون عند قراءة التوراة ، ويقولون إن السموات والأرض تحركتا حين آتى الله عز وجل التوراة لموسى عليه

(١) سورة البقرة ، الآية ٦٢ ، والمائدة آية ٦٩ .

السلام ، وفي تفسير قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ (١) فاحتالوا فعملدوا إلى صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة وكان صفته فيها : حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الشَّعْرِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ رُبْعَةً ، فغَيَّرُوهَا وَكَتَبُوا مَكَانَهَا طَوَالَ أَزْرَقِ سَبْطِ الشَّعْرِ ، وفي تفسير ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ (٢) إنهم كانوا قرأوا في التوراة : أن الله يبعث في آخر الزمان نبياً ينزل عليه قرآناً مبيناً ، وفي تفسير ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ ﴾ (٣) تمسك اليهود في استحالة النسخ بشبهه منها أن الله تعالى إن كان عالماً باستمرار الحكم إلى وقت النسخ فينتهي الحكم بنفسه فلا رفع فلا نسخ ، ومنها لو نسخت شريعة موسى لبطل قول موسى المتواتر : هذه شريعة مؤبدة عليكم ما دامت السموات ، وفي تفسير ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٤) روى أن ابن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا ، فقال لهما : قد علمتا أن الله يقول في التوراة إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد ، فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به فهو ملعون ، فأسلم سلمة وأبي مهاجر ، وفي تفسير ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (٥) وقد أوحى الله تعالى إلى داود : كيف عرفني وكيف عرفت نفسك ؟ فقال : عرفتك بالقدرة والقوة والبقاء ، وعرفت نفسي بالضعف والعجز والفناء . قال : الآن عرفني . وقال في تفسير ﴿ وَأَخِي الْمَوْقِيُّ بِأَذْنِ اللَّهِ ﴾ (٦) فأحيى أربعة أنفس العازر وكان صديقاً له ،

(١) سورة البقرة الآية ٧٩ .

(٢) سورة البقرة الآية ٨٩ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٠٦ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٣٠ .

(٥) هذه بقية الآية السابقة ، وصحتها (إلا من سفه نفسه) .

(٦) سورة آل عمران ٤٩ .

فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام فذكر قصته التي في الإنجيل ، فإن كان المحذور عند من أنكروا لقلته ممارسته لكتب الأئمة ذكر ما في الكتب القديمة فقد ذكر هذا الإمام المفسر وغيره من الأئمة الكبار كالرازي وكالبغوي كثيراً من ذلك ، فإن البغوي ذكر في تفسيره ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (١) في آل عمران قصة الذي أضاف مريم وابنها عليهما السلام وأحسن إليهما ، ثم استضافه الملك وليس عنده شراب فاهتم ، فأمره عيسى عليه السلام فملأ الخوابي ماءً ثم دعا له فإذا هو شراب جيد ، فعرف الملك ذلك فسأله أن يُحیی ابنه ، وكان قد مات فأحياه ، كما ذكرها في الإنجيل ، وذكر في آخر القصص قصة هارون ببعض ما في التوراة غير معزوة إليها ، وزادها أمراً فاحشاً جداً نسبوه إلى موسى عليه السلام ، نزهت كتابي عن ذكره ، وإن كان المحذور عزوه إلى تلك الكتب التي أخذ منها لأذكره غير معزوة إليها فذلك أمر لا يعقله عاقل ، والتفاسير وغيرها طافحة بالنقل عن أهل الكتاب ، ومن المعلوم أنهم لا يأخذون ذلك إلا من كتبهم أو عمن أخذه منها ، فمن سوغ النقل عنهم غير معزوة ومنعه معزوا ، مع ما تقدم عن البخاري والشافعي وغيرهما من النقل معزوا إلى كتبهم ، قال الشيخ نور الدين : وإنما قال شيخنا لقلته ممارسته إلى آخره لأن من المعلوم أن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم التي هي عبارة عن ترجمة الدين وكيف بدأ وكيف نشأ ، ومن أشهر السير وأجلها سيرة ابن هشام والكلاعي وابن سيد الناس وهي مشحونة بالنقل عن التوراة والإنجيل بواسطة الأخبار والرهبان ، ففيها إسناد القول والاكتفاء فيه بأقوالهم ، ومن لم يطالع

(١) سورة آل عمران ٥٢ .

ذلك فهو عن الاعتناء بالدين بمغزل ، هذا مع أن فيها نقل ما كانت  
الجاهلية عليه من عبادة الأوثان وغيرها مما كان ديناً لهم وهو هباءً منثور ،  
فإن كان المحذور نقله لنسخه أو غير ذلك فذلك كذلك انتهى ، فإن  
قال قائل : إن الناقل عنهم بواسطة أحد ممن أسلم منهم مثل كعب  
فنقله سائغ لأنه يميّز بين المبدّل وغيره ، ونقل غيره لا يسوغ لأنه  
لا يعرف المبدّل من غيره ، قيل : قد تقدم عندما ذكر عن النجاشي  
في قوله : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة : أنا أعرف  
منهم بالمبدّل لشهادة كتابنا المهيمن على كل كتاب لكونه مأموماً من  
التحريف والتبديل والغلط ، بخلاف من يعرف ذلك من غيره ، فإن  
وسائطه غير مأمونة وقال الأصهباني أيضاً في تفسير قوله تعالى ﴿حَتَّى  
يَأْتِيَنَّا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ (١) ، قال المفسرون : كانت القرابين والغنائم  
لا تحل لبني إسرائيل ، وكانوا إذا قربوا قرباناً أو غنيمة فتقبل منهم ،  
جاءت نارٌ بيضاء من السماء لها دخان ولها دوى فتأكل ذلك القربان  
وتلك الغنيمة فتحرقها ، فيكون ذلك علامة القبول ، وإذا لم يقبل  
بقي على حاله . وقد كان بنو إسرائيل يذبحون لله فيأخذون  
أطياب اللحم فيضعونها في وسط البيت والسقف مكشوف فيقوم النبي  
في البيت ويناجي ربه وبنو إسرائيل خارج البيت ، فتنزل نارٌ فتأخذ  
ذلك القربان فيحرق النبي ساجداً فيوحى الله إليه بما شاء ، وقيل :  
إن الله أمر بنى إسرائيل في التوراة من جاءكم من أحد يزعم أنه رسول  
الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح  
ومحمد ، فإذا أتياكم فآمنوا بهما فإنهما يأتيان بغير قربان ، قيل :

هذه دعوى باطلة وافتراء على الله ، انتهى كلام الأصفهاني . وقد قال :  
إنه يقال إنه مُبَدَّل وكذا نقله أبو حيان والبيضاوي والبغوي وغيرهم  
غير معزو ، وقال الأصفهاني في تفسير ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (١) وكان من جملة أذاهم للرسول  
صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يكتبون ما في التوراة والإنجيل من الدلائل  
الدالة على نبوته ، وكانوا يحرفونها ويذكرون لها تأويلات فاسدة ، وفي  
تفسير قوله تعالى ﴿ هَذَا ذَكَرَ مِنْ مَعِيَ وَذَكَرَ مِنْ قَبْلِي ﴾ (٢) أى وهذا ذكر  
من قبلى أى التوراة والإنجيل ، وليس فيها كلها إباحة ، ذلك أن اتخاذ  
آلهة غير الله سبحانه ، وقال الأصفهاني أيضا في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ  
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (٣) ، وقال ابن عباس رضى  
الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى دين  
الإسلام وخوفهم بعقاب الله ، فقالوا : كيف نخوفنا بعقاب الله ونحن  
أبناء الله وأحباؤه ، وأما النصارى فإنهم يتلون في الإنجيل الذى لم  
أن المسيح قال لهم : اذهب إلى أبى وأبيكم ، وقال في تفسير قوله تعالى  
﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ (٤) وذلك أن الجواسيس لما رجعوا  
إلى موسى وأخبروه بما عاينوا ، قال لهم موسى عليه السلام : اكنموا  
شأنه ولا تخبروا به أحداً إلى آخر القصة كما ذكرت في التوراة ، وقال  
الإمام أبو حيان في تفسيره النهر ، في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي  
إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (٥) وهذا الذى ذكره الله عنه هو

(١) سورة آل عمران ١٨٧ .

(٢) سورة الأنبياء ٢٤ .

(٣) سورة المائدة ١٨ .

(٤) سورة المائدة ٢١ .

(٥) سورة المائدة ٧٢ .



مذكور في إنجيلهم يقرأونه ولا يعملون به ، وهو قول المسيح : يا معشر بني المعمودية وفي رواية يا معشر الشعوب قوموا بنا إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم ، ومخلصي ومخلصكم . قال الشيخ نور الدين : وإذا تأملت ما نقله الإمام أبو حيان ، وقابلت به ما شنع به علي شيخنا ، مع بيانه في آخر كل نقل ما لا يجوز إطلاقه في شريعتنا ، مع إسقاط الإمام أبي حيان بيان ذلك اعتماداً على ظهور الأمر لمن يطالع التفسير ، فإنه لا يكون إلا من رسخت قدمه في الفضائل ، ظهر لك حال التشنيع ، فالمنصرف من نقد الكلام ولم يخش في الله لومة لؤام ، نعوذ بالله من حسدٍ يسدُّ باب الإنصاف ، انتهى .

وفي كتاب الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي المسمى بالرد الجميل مثل هذا الإطلاق في غير موضع ، بل الكتاب كله موضوع لما فيه وفي التوراة من إطلاق الأب والابن وما ظاهره الاتحاد وتأويل ذلك وتضليلهم في الاعتراض بظاهره من غير رد له إلى المحكم ، قال الشيخ نور الدين هذا مع ما فيه - أي كتاب الغزالي - من النقل عن إنجيل يوحنا ومرقص ولوقا فيالله من ساع في التشنيع على مثل هذا الإمام وعلى غيره من الصحابة والتابعين والمقلدين وغيرهم .

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم انتهى . وكذا صاحب كتاب الصحائف في أصول الدين ذكر كثيراً من التوراة والإنجيل ورد عليهم بهما . وقال : إن أحسن ما يرد على الإنسان بما يعتقد وينجح باستخراج ذلك ، وذلك أيضاً موجود في شرح المقاصد للشيخ سعد الدين ، وكذا شرح المواقف للسيد ، وغيرهما من أصول

الدين فإن كان المحذور عند من أنكر ذلك مجرد ذكره ففي هؤلاء الأئمة أسوة ، وكفى بهم متبعاً وقدوة ، فالطاعن في من اقتدى بهم لأجل ما اقتدى بهم فيه طاعنٌ فيهم ، والطاعن فيهم وهم سلف الأمة وعلمائهم وصلحائهم وحملة الشريعة طاعن في الدين فكيف إذا انضم إلى ذلك تأييدهم بنص الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز الذي يقرأ على البرِّ والفاجر والعالم والجاهل ﴿وقالت اليهود عزيزُ ابنِ الله وقالت النصارى المسيح ابنُ الله﴾ (١) وإن كان المحذور عندهم ذكره مقروناً برده أو تأويله بأن المراد به غير ظاهره ، فهو منابذة للدين ، وقال الإمام ناصر الدين البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢) واعلم أن السبب في هذه الضلالة يعني اعتقادهم أن ذلك حقيقة أن أرباب العلوم المتقدمة كانوا يطلقون الأب على الله باعتبار أنه السبب الأصلي حتى قالوا : إن الأب هو الرب الأصغر والله تعالى هو الأب الأكبر ، ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليداً ولذلك كُفِّرَ قائله ومنع منه ، مطلقاً حسماً لمادة الفساد ، انتهى . فهذا يسير مما نقله الأئمة عن أهل الكتاب ومن كتبهم من كان يريد الحق كُفِّيَ في معرفته ، ومن أراد الباطل والعناد فالله قاصمٌ له وعاصم من كيده . وما أشبه قوله في منع النقل عنهم رأساً الذي قد يلزم منه ردُّ كل ما عندهم من غير نظر في كتابهم بتكفير كل من طائفتهم الأخرى . قال ابن إسحاق : ولما قدم

(١) سورة المائدة ٧٢ .

(٢) سورة البقرة ١١٧ .

[أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتهم أحبار  
يهود فقال رافع بن حرملة : ما أنتم على شيء ، وكفر بعيسى عليه السلام  
وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم  
على شيء ووجد نبوة موسى عليه السلام وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى  
(وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود  
على شيء وهم يتلون الكتاب) (١) وقد كانت الكتب الإلهية القديمة  
فيها هو خير من هذا العصر مما سلف من الأعصار التي كانت أكثر علماء  
وعلماء وأمارين بالمعروف متظاهراً بها غير مخفى أمرها حتى إنها توقوف  
في خزائن أهل الإسلام ، وكانت هذه الكتب تقرأ على العلماء فلا ينكر  
ذلك ، نقل قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه عن  
الكمال أبي الفتح موسى بن يونس الشافعي والد شارح التنبيه : أنه كان  
متبحراً في العلوم ، وأن الفقهاء كانوا يقولون إنه يدري أربعة وعشرين  
فنّاً دراية متقنة ، فمن ذلك المذهب وكان فيه أوحده الزمان وكان يحل  
الجامع الكبير للحنفية أحسن حل إلى أن قال : وبالجملة فلقد كان  
كما قال الشاعر :

وكان من العلوم بحيث يقضى له في كل علم بالجميع

قال : وكان له في التفسير والحديث وأسماء الرجال وما يتعلق به يد  
جيدة ، وقال : وكان شيخنا ابن الصلاح يبالغ في الثناء عليه ويعظمه  
فقليل له يوماً : من شيخه ؟ فقال هذا الرجل خلقه الله عالماً لا يقال  
من شيخه ، فإنه أكبر من هذا . قال : وكان أهل الذمة يقرأون عليه

التوراة والإنجيل ويشرح لهما هذين الكتابين شرحاً يعترفون أنهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله ، ونقل عن الأثير الأبهري أنه قال : ما دخل بغداد مثل الكمال ، هذا إلى أن قال : وهو في الفقه والعلوم الإسلامية نسيج وحده ، ودرس في عدة مدارس ، وتخرج عليه خلق كثير وتولى المدرسة العلامة عن أخيه الشيخ عماد الدين محمد ، ولما فتحت المدرسة القاهرية تولاها ثم تولى المدرسة البدرية ، وحضر في بعض الأيام درسه جماعة من المدرسين أرباب الطيالة ، وكان العماد أبو علي عمر بن عبد النور الصنهاجي النحوي البجائي حاضراً فأنشد على البديهة :

كمال كمال الدين للعلم والعلی      فهيهات ساع في مساعيك يطمع  
إذا اجتمع النظار في كل موطن      فغاية كل أن تقول ويسمعوا  
فلا تحسبهم من عناد تطيلسوا      ولكن حياءً واعترافاً تقنعوا

وأطال في مدحه وقال في أثناء الكلام ومن يقف على هذه الترجمة قد ينسبني إلى المغالاة في حق الشيخ ، ومن كان من أهل تلك البلاد وعرف ما كان الشيخ عليه علم أني ما أعرتة وصفاً ، ونعوذ بالله من الغلو والتساهل في النقل ، ونقل عنه كثيراً من هذه الترجمة وما ذكره عن التوراة والإنجيل كل من جاء بعده كابن الوردي وابن الشحنة في تاريخهما ، والسبكي والإسنوي وابن قاضي شعبة في طبقاتهم ، وقال السبكي في آخر ترجمته : وحاصل الأمر عند الإنصاف وترك الغلو أنه كان إماماً مبرزاً ذكياً جامعاً لأشتات العلوم انتهى ، ولم يعب عليه أحمد ممن ترجمه

إقراءه للتوراة والإنجيل ، وكل من بدأ الناس سبقاً وعلامه فوقاً ،  
لا يعلم من يتكلم فيه ممن لا يفهم بعض كلامه ، أو يحسده لأنه  
لا يصل إلى جميع مراده كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم  
وإذا أنتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بآئي كامل  
ومن جهل شيئاً عاداه ، وما ينسب إلى إمامنا الشافعي رحمه الله أو على  
ابن أبي طالب رضي الله عنه .

وخذ كل امرئ ما كان يجهل والجاهلون لأهل العلم اعداء  
ومن المعلوم عند أئمة الحديث وجهابذة النقد أن الجرح  
لا يقبل إلا مفسراً بل وان فُسرَّ نظر في الخارج هل هو مطعون  
فيه بجهل أو فسق أو غرض ، وإن سلم من ذلك وكان هناك توثيق  
من هو مثله أو أعلى منه ، نظر في القولين هل يتنافيان أم لا ؟ ويجتهد  
في مثل ذلك ليقدم الأصل ويترك غيره ، فأعراض الناس ليست هيئة  
ليتكلم فيها من لم يتضلع بالعلوم ويشتهر بالدين ، فما جاء البلاء إلا من  
يتكلم وهو يظن أنه يعلم ، والحال أنه لا يقبل في ثمن درهم كما  
مضى عن إمامنا الشافعي ، ولا سيما إن وجد له جهلة مثله ، فالجنسية  
علة الضم يتلقفون من كلامه ويبردون غليل حسده وأوامه ، وما آفة  
الأخبار إلا روايتها ، ولعمري أن الحق لو اوضح جداً عند من يتعرفه  
وهو منصف ، فكل من يتكلم من وراء منسوب إلى أفرى القرى ، ومن  
لم يقدر على إبراز كلامه لخصمه فقد شهد على نفسه بجهلها ولخصمه  
بعلمه ، وهذا برهان يديهي التصور ، واضح التقرر والتحرر ، ولمثل  
هذا كان مثل هذا الأمر مما ينبغي أن يصاب عن لا يسغفه عقله ، فقبح

الله من أحوج إلى إظهاره ، ودعا إلى إشاعته عند من ليس بأهله وإشهاره  
فقد ذكر أئمة المحدثين في الآداب المحدث أنه لا يروى في الإملاء المشكل الذي  
لا يحتمله عقول العوام ، قال الشيخ زين الدين العراقي تبعاً لابن الصلاح  
في شرح منظومة كتابه : قال الخطيب : وليجتنب في أماليه ، ما لا  
تحتمله عقول العوام ، ثم قال : وإن الأحاديث صحاحاً ولها في التأويل  
طرق ووجوه إلا أن من حتمها أن لا تروى إلا لأهلها خوفاً من أن يضل  
بها من جهل معانيها فيحملها على ظاهرها ، أو يستنكرها فيردها ،  
هذا وأما ما نقل العلماء عن غير أهل الكتاب من أعداء الإسلام في  
تأييد الحق وتكذيب الباطل فكثير ، ففي السيرة باب معقود للنقل  
عن الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب ، قال  
ابن هشام : أما الأخبار من يهود والرهبان من النصارى فمما وجدوا في  
كتبهم من صفتة وصفة زمانه ، وأما الكهان من العرب فأتتهم به  
الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع ، إذ كانت لا تحجب عن  
ذلك بالقذف بالنجوم ، فقد اشتمل هذا على النقل في تأييد الإسلام  
عن جميع طوائف الكفرة من الجن والإنس ، وتلقّت ذلك الأمة بالقبول  
بل استحسونه وأثنوا عليه ومدحوه عصراً بعد عصر وجيلاً بعد جيل ،  
فقد وقع عليه الإجماع وانفصل النزاع حتى جاء في هذا الزمان من  
لا خلاق له ، يشنع بما ليست له حقيقة ولو ثبت كان جهده أن يكون  
مثل هذا ، فيخشي على من أنكر مثله على بعض أهل عصره أن يكون  
ممن أنكر مجتمعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة ، وقال ابن هشام  
عقب النقل عن طوائف الكفرة في إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه  
وسلم : ومنهم رجلٌ بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سلمة

ابن سلامة بن قحش: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا ، فآمنا به وكفروا به بغيا وحسداً ، وفيها في قصة حسان رضي الله عنه في الذي قال من اليهود : وطلع الليلة نجم أحمد .

وفي البخارى النقل عن ابن الناطور وهرقل في ظهور النجم الدال على النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث إلى الأميين صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قصة ابن الهيسان التي نفع بها ناساً منهم ابنا سعيّة فأسلموا بعد مدة طويلة ، وغير ذلك وهو كثير ، وفي السيرة والتفسير لقوله تعالى ﴿وكانوا من قبلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (١) إن الأنصار رضي الله عنهم . قالوا: إن مما نفعنا وهدانا للإسلام لما كنا نسمع من رجال يهود من أمر النبي صلى الله عليه وسلم « انتهى .

وهذا الذي يذكر في التفسير من كتبهم يرجى به ما رجى من ذلك ولو بعد حين ، وقال ابن هشام في السيرة في بنيان الكعبة قال ابن إسحاق : فحدثني بعض من يروى الحديث أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها ، أي الكعبة حين أرادوا بناءها أدخل عتلة بين حجرين منها ، ليقلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس ، قال : وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريرية فلم يدرؤا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : أنا الله ذوبكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حفاً لا تزول حتى يزول أخشابها ،

مبارك لها في الماء واللبن ، فهذا عن بعض الجاهلية عن رجل يهودي عن  
خط سرياني في وصف بلد الله الحرام ببعض ما لا يتحقق صحته ولا  
فساده أهل الإسلام ولم ينكره أحد من الأعلام .



# ديوانُ السِّلطانِ العُورِي

دراسة وتحقيق

الاستاذ شعبان محمد مرسي

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى

يسمى جندب بن عبد الله ، وقانصوه لقبه، ويلقب كذلك بسيف الدين وكنيته أبو النصر ، وأما قولهم : الملك الأشرف ، فذلك تعظيم له ، والغورى نسبة إلى طبقة الغور وهى إحدى الطبقات التى كانت بمصر ، يقول نجم الدين الغزى : « قانصوه بن عبد الله الجركسى السلطان الملك الأشرف المشهور بالغورى ، وسماه ابن طولون جندب ، وجعل قانصوه لقباً له ، وقال : « والغورى نسبة إلى طبقة الغور قال ابن الحنبلى : إحدى الطبقات التى كانت بمصر مدة تعليم المؤدين ... (١) » .

وأختلف الدارسون فى ضبط كلمة ( الغورى ) ، فقد ضبطها الدكتور عبد الوهاب عزام « الغورى » بفتح الغين وسكون الواو ، معتمداً على مجيء هذا الاسم بهذا الضبط فى مقدمة الشاهنامه التركية ، وحجته كذلك أن الاسم ورد بهذا الضبط على مصحف للسلطان محفوظ بدار الكتب المصرية يقول الدكتور عزام : « بينت فى محاضرة أقيمتها فى الجمعية الجغرافية الملكية منذ سنوات أن الضبط الصحيح لهذا الاسم هو الغورى بفتح الغين لاضمها ، وكانت حجتى فى هذا أن الاسم كتب بهذا الضبط على مصحف للسلطان فى دار الكتب المصرية ، وقد صدق هذا الرأى أبيات كثيرة فى الشاهنامه التركية جاء فيها الغورى فى القافية مع كلمات مثل دور ، وعور ، وأن الاسم ضبط هذا الضبط فى عنوان هذا الكتاب . وفى ابن إياس سجعاً ترجح أنه الغورى بضم الغين ، ولكنها لا تكفى الأدلة القوية التى ذكرتها » (٢) .

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة : تأليف نجم الدين الغزى : تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، ط . بيروت ١٩٤٥ ج ١ ص ٢٩٤ .

(٢) مجالس السلطان الغورى . للدكتور عبد الوهاب عزام . مطبعة التأليف والترجمة

وأما الدكتور محمود رزق سليم فقد ضبط ( الغورى ) بضم الغين في كتابه « الأشرف قانصوه الغورى » هكذا في عنوان الكتاب ، بيد أنه لم يقف عند مناقشة الضبط الصحيح للاسم على الرغم من أنه قد أفاد من كتاب الدكتور عبد الوهاب عزام ، وفي هذا ما يوحى بعدم التيقن ، مما دفعه إلى المرور بها مر الكرام .

وقد أخبرني الدكتور محمد عامر (١) أن الضبط الصحيح لهذا الاسم هو ضم الغين ( الغورى ) نسبة إلى منطقة الغور ببلاد الترك ، وهى التى جلب منها الغورى صغيراً ، والذي حمل الغورى على ضبطه هذا الاسم بفتح الغين هو محاولته لإيجاد نسب عربى له ، وكان النسب العربى فى ذلك الأوان له قيمة كبرى ، فالغورى بالفتح ستكون نسبة إلى منطقة الغور العربية ، وبناء على هذا سيكون عربياً .

ولكننى أميل إلى ضبط الاسم بفتح الغين ( الغورى ) ، لأن المجموعة الشعرية التى نظمها السلطان كلها تضبط الغورى بفتح الغين ، حيثما ورد هذا الاسم ، وكثيراً ما ورد ، كما سيظهر فى الديوان ، إن شاء الله تعالى .

ولكن يبقى لرأى الدكتور عامر كيانه ، إذ إنى وجدت عبارة من كلام السلطان الغورى نفسه يجعل الجراكسة من العرب فى هذه العبارة ، يقول السلطان : الجركس من الغساسنة ، فهم عرب (٢) .  
ولعل المتخصصين فى تاريخ المماليك يهتمون بهذه المسألة ، فتقال فيها كلمة الفصل ، بعد إثارة المسألة .

ولد السلطان الغورى فى حدود سنة ٨٥٠ هـ ، قال ابن طولون :

---

(١) هو مدرس التاريخ الإسلامى فى دار العلوم : جامعة القاهرة ، وهو متخصص فى تاريخ المماليك فى مصر .

(٢) مجالس السلطان الغورى للدكتور عزام . ص ٥١ .

كان يذكر أن مولده في حدود الخمسين وثمانمائة (١) اشتراه السلطان قايتباي ، لكن لا ندرى في أى سنة على وجه التحديد ، ولا كم كانت سنه حين جاء مصر ؟ لكن المعروف أن المماليك كانوا يشترون ، وهم في سن تراوح بين ثمان ، وخمس عشرة ( ٨ : ١٥ ) ، فلهذا اشترى وجلب إلى مصر في حدود سنة ٨٦٠ هـ .

وأصول السلطان لا نعرف عنها إلا النزر اليسير ، فأبوه اسمه عبد الله ، وماذا كان يعمل عبد الله هذا ؟ ومن هي أم السلطان الغورى ؟ وهل كان له إخوة أو لا ؟ وما نوعهم ؟ وما درجتهم الثقافية ؟ وما طبقتهم الاجتماعية ؟ كل هذه الأسئلة ، لا نجد عنها جوابا شافيا ؛ غاية ما فى الأمر . أنه كان من بيئة اجتماعية فقيرة ومطحونة .

عنى به مولاه ، ورباه تربية حسنة ، على نسق تربية المماليك ، فنال حظا من الدين والعلم والفروسية ، وكانت له خصال حميدة امتاز بها من سائر الأتراك ، فقد كان لين الجانب ، طيب المعاشرة ، محبا للعلوم والفنون مشاركا فيها على قدر جهده وملكاته ، ليس بالحقود ولا الحسود ، يملك نفسه عند الغضب ، يقول ابن إياس : «فأما ما عدا من محاسنه ، فإنه كان يملك نفسه عند الغضب وليس له بادرة بحددة ، ومنها أنه كان له اعتقاد زائد فى الصالحين والفقراء ، ومنها أنه كان يعرف مقادير الناس على قدر طبقاتهم . ومنها أنه كان ماسك اللسان عن السب للناس فى شدة غضبه . ومنها أنه كان يفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء ، وله نظم على اللغة التركية ، وكان مغرماً بقراءة التواريخ والسير ودواوين الشعر . وكان قريبا من الناس يحب المزاح والمجون فى مجلسه ، غير كثيف الطبع فى ذاته . وكان عنده لين جانب ورياضة بخلاف طبع الأتراك ، ولم يكن عنده شتم (٢) ولا تكبر نفس (٣) .

(١) الكواكب السائرة . ج ١ : ص ٢٩٤ .

(٢) يقصد : لم يكن متكبرا .

(٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور . لابن إياس الحنفى . حوادث سنة ٩٢٢ هـ .

والصورة الجسمية لهذا السلطان ، بينها لنا المؤرخ ابن إياس ، فقال :  
« كانت صفته طويل القامة ، غليظ الجسد ، ذو كرش كبير ، أبيض اللون ، مدور الوجه ، مشحم العينين ، جهورى الصوت ، مستدير اللحية ، ولم يظهر بلحيته الشيب إلا قليلا » (١) .

وتزوج السلطان خوند جان سكر التى توفيت سنة ٩٢٢ هـ ( ١٩ - ربيع الأول ) وهى من أصل جركسى ، وهى أم ولده الذى توفى فى سنة ٩١٠ هـ ، لقد أنجب الغورى ثلاثة أبناء ذكور ، لم يعيش منهم سوى الناصرى محمد الذى صحب أباه فى « مرج دابق » وعاد إلى مصر بعد الهزيمة ، ثم لما استولى سليم العثمانى على مصر صحبه إلى استانبول .

تولى السلطان الغورى عدة مناصب منها كاشف الصعيد ، ثم أمير عشرة ، ثم واليا بالشام ، ثم مقدم ألف ، وبعد موت قايتباى ، ملك طومان باى مصر ، فملك الغورى الدوادارية الكبرى والوزارة والأستادارية ، ثم شاء له القدر أن عمك مصر كلها ، وما كان فى حوزتها من بلاد الشام والحجاز دون مشقة ، ولا عنق ، وكان كما قيل :

ألا إنما الأقسام تحرم ساهرا      وآخر يأتي رزقه وهو قائم

تولى الغورى مصر وكانت خزائنها فارغة ، ثم امتلأت بالأموال ، وكانت نفس السلطان نفس فنان ، تميل إلى الطرب والجمال والدعة ، فقد اهتم هذا السلطان بإنشاء الحدائق والغناء ، والبساتين الوارفة ، والبنائات الفخمة ، التى ما تزال آثارها باقية حتى اليوم ، منها الغورية وخان الخليلي وغيرهما ، وعنى كثيرا بالحفلات والأعياد فكانت تحمل إلى أماكن المنزهات كجزيرة الروضة ، كل أنواع اللهو من الطبول وأدوات الزمر والموسيقى والزينات تعلق ، ويرقص الناس ، وكل ذلك حمل خزانة الدولة مالا تطيق ، فلجأ السلطان إلى التعسف فى الضرائب ، بغية جمع المال ، وقاسى الناس من ذلك كثيرا .

كان السلطان متدينا ، وكان يبني المساجد ويصلحها ، وبالأأسف كان ذلك مجهدا للناس ، غاية الإجهاد ، وما قيمة المساجد التي تبنى بإرهاق الناس؟! ودون رحمة بهم؟! وهكذا كان يتصور أنه يتقرب إلى الله، في الوقت الذي يشكوه الشعب إلى الله، وكان هذا الظلم هو أساس كل العيوب أو المساوىء التي آخذة عليها المؤرخ ابن إياس الحنفى، والتي علل بها سقوط دولة الغورى .

من الخصائص التي امتاز بها السلطان الغورى ميله إلى السلم ، فقد سالم الدول المجاورة له ، وهى دولة آل عثمان ، ودولة الشاه إسماعيل، وظلت مصر فى سلم حوالى ست عشرة سنة ، وكل ما حدث فى أثناء ذلك كان مناوشات ، ولذلك كانت تجرد لها التجريدات الخفيفة، وفى الميدان الداخلى حافظ السلطان على الأمن العام ، وأدب العربان الذين كانوا يسطون على للفلاحين .

وكان السلطان يقاوم البرتغاليين فى بلاد الهند ، والشرق ، والخليج العربى ، واستطاعت مصر أن تكون لها مراكزها التجارية هناك، وتؤمن سبل التجارة زمنا لا بأس به .

ثم كانت النهاية حين دارت رحى الحرب بين الدولة العثمانية والدولة المملوكية فى مصر ، وهزم المصريون بسبب الخيانة التي وقعت فى صفوف العسكر المصرى ، وقتل السلطان قانصوه الغورى فى هذه الموقعة (مرج دابق) ، وكان هذا من محاسنه ، وهى أنه لم يفر من المعركة أبدا ثم دخل السلطان سليم مصر ، وذلك بعد مقاومة عظيمة بقيادة البطل طومان باى ، وانقضى عهد المماليك ، وأسدل الستار عليها ، وصارت كأن لم تغن بالأمس .

لم تكن حالة المعارف والعلوم والآداب في عصر الغورى بالحال التي  
تسر ، إذ كان الذى يسود الأدب هو الزجل ، وهو باللغة العامية ، وأما  
أدب الفصحى فقد توكأ على عضا ، لقد ضاق معجمه ، وهرمت معانيه ،  
واستولت عليه الألغاز والأحاجى ، واهتم بسفاسف الأمور ، والأدب كما  
هو معلوم عنوان تقدم الأمم ، فإذا انهار أنهارت ، وهذا ما حدث آنئذ .

وكان الجدل الدينى يدور حول جزئيات لا قيمة لها ، وإن كان لها  
قيمة فهي لا تساوى عناء النقاش حولها ، وهذا ما يتضح من مجالس الغورى  
بخاصة ، وكان العلماء الكبار مقلدين للمذاهب فلم يكن فيهم عنصر الاجتهاد  
ولم يكن عندهم حلول لمشاكل الشعب العامة مستمدة من الدين الذى يحى  
النفوس حياة طيبة فى الدنيا والآخرة ، بل جل ما كان هنالك هو التجميع  
فى موسوعات ، وشرح تلك المجاميع ، واختصار تلك المجاميع ، وعد  
أكثرهم كتباً بهذه الصورة أعظمهم ، وهذا مقياس فيه نظر .

والتأليف فى علوم العربية أصابه الوهن اللهم إلا بعض مؤلفات السيوطى  
مثل كتاب المزهرة .

ربما يستثنى من هذا الحكم العام التاريخ ، فإنه قد كتب فيه تاريخ  
ذلك الزمان وأهله ، وهو المفيد والجديد ، كتبه مؤرخون من أمثال السخاوى  
وغيره .

تلقى الغورى علوم عصره أو بعضها ، وبدأ يشارك فيها ، فخلف لنا  
فى مجال النثر كتابين : .

١ - نفائس المجالس السلطانية .

٢ - الكوكب الدرى فى مسائل الغورى .

وقد انتقى الدكتور عبد الوهاب عزام منهما بعض المسائل التى تصور

لحال العامة آثذ وجمعها في كتاب سماه : « مجالس السلطان الغورى ،  
وصدره بمقدمة عن السلطان اعتمد فيها على ابن لياس .

ومن آثار السلطان الباقية أنه أمر الشاعر الشريفي بترجمة الشاهنامه من  
الفارسية إلى التركية ، ولكنه لم يترجمها إلى العربية .

ومن آثاره الباقية في مجال الشعر ، مجموعة وجدتها في معهد المخطوطات  
العربية تحت عنوان : « القصائد الربانية والموشحات السلطانية الغورية »  
رقمها ٦٤٦ أدب وعدد أوراقها ثلاثون ورقة من القطع الصغير ، وخطها  
ممتاز ، وبالصفحة خمسة أسطر وكاتبها هو شاوبك مر أذمر من طبقة  
الحوش ، كتبها برسم السلطان الغورى نفسه ، كتبها بخط النسخ الجميل ،  
وليس عليها تاريخ الفراغ منها ، واليقين أنها كتبت في عهد السلطان إذهى  
برسمه .

مجموعة أخرى من القصائد والموشحات منتخبة ، وجدتها بالأزهر ،  
ضمن مجموعة تحت رقم (٦٢٤) أباطة ٧٢١٩ ، وهى بقلم نسخ جيد ،  
مسطرتها ١٩ سطرا ، وتبدأ فى المجموعة من الورقة الحادية عشرة ، وتنتهى  
فى السابعة والعشرين ، ٢٠ سم ؛ ولا يعرف منتخبا .

أول هذه المجموعة قصيدة مطلعها :

حلا للقوم فى حضرة الأنس فلاحت وجنة فى وجنة الشمس

والبيت بهذه الصورة مكسور عروضيا ، وتصحيحة كما فى التحقيق .

هذه المجموعة تتفق فى بعضها مع المجموعة التى وجدتها فى معهد المخطوطات  
وتختلف عنها فى أحيان كثيرة ، ففيها زيادات فى القصائد والموشحات التى  
وردت فى معهد المخطوطات ووردت بها ، وبها قصائد لم ترد فى مجموعة  
المعهد ، وتمتاز مجموعة المعهد ، بأنها تذكر نغمة الموشح الموسيقية ، فى  
حين لا تصنع هذا مجموعة الأزهر ، وسيظهر هذا من التحقيق فى موضعه ،  
إن شاء الله تعالى .



ووجدت قصيدة للسلطان في كتاب « الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة » ، تأليف نجم الدين الغزى ، تحقيق سليمان جبور ، يرد بها السلطان على قصيدة أحمد الفرפורى التى مدحه بها ، فأثبتها فى الديوان وأثبت قصيدة الفرפורى قبلها حتى تتضح أفكار قصيدة الغورى ، وتستبين جودتها .

وقد رتبت نظم الغورى قسمين :

١ - الشعر حسب القافية . ٢ - الموشحات .

وقد كتبت دراسة عن ديوان السلطان هذا أساسها الإيجاز .

« وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

شعبان محمد مرسي

المعيد بقسم الدراسات الأدبية ( كلية دار العلوم )

جامعة القاهرة

الجمعة : ٩ رمضان المبارك ١٤٠١ هـ

١٠ يوليو تموز ١٩٨١ م

« دراسة موجزة في شعر السلطان الغورى ، وموشحاته »

حوى ديوان السلطان الغورى ستا وعشرين قصيدة ومقطوعة ، دارت حول عدة موضوعات اختلفت فيما بينها فيما حازته من قصائد ، والموضوع الذى حاز أكبر عدد من القصائد والمقطوعات هو الغزل إذ استحوذ على ثمان قصائد ومقطوعات هي [ ١ - ٧ - ١١ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٦ ] والموضوع الثانى الذى استحوذ على مثل هذا العدد هو الدين [ ٢ - ٣ - ١٤ - ١٦ - ٢١ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ ] . والموضوع الثالث هو المدح ، وبه ثلاث قصائد [ ٤ - ٩ - ١٥ ] . والموضوع الرابع هو التصوف ، وبه ثلاث قصائد [ ٦ - ٨ - ١٣ ] . والموضوع والخامس هو الخمر ، وبه قصيدة واحدة رقم [ ١٠ ] ، والموضوع السادس هو الهجاء الاجتماعى ، وهو قصيدة واحدة رقم [ ١٧ ] .

١ - الغزل :

تغزل الشاعر فى المذكر والمؤنث ، وظاهرة التغزل فى المذكر كانت شائعة فى العصر المملوكى ، وهى تمتد بجذورها عبر التاريخ حتى العصر العباسى ، زمان أبى نواس وتابعيه ، غاية الأمر أنها اشتدت فى عصر المماليك ، نتيجة الانحراف فى طبيعة الحب ، وكان هذا بسبب كثرة الغلمان الأتراك الذين كانوا على مستوى عال من الجمال ، وبسبب انهماك الناس فى الملذات والشهوات ، وتقاعسهم عن الجهاد فى سبيل حياة كريمة وإنما شاع الكسل . وشرب الخمر والحشيش ، والاهتمام بسفاسف الأمور ، مما انعكس على الشعر والنثر ، باعتبارهما يستمدان من البيئة ، وهذا يفسر ظاهرة الفقر فى المعانى التى يعانى منها شعر المماليك ، وأدبهم عامة ، على أن هناك سببا آخر فى وجود الغزل بالمذكر فى الشعر هو تقاليد الشعر ، فليس كل شاعر قال شعرا فى مذكر قد صنع الفحشاء ، وإنما هى التقاليد الشعرية المتوارثة من عصر العباسيين ، إذ حل الغزل بالمذكر محل الغزل بالمؤنث إلى حد ما أو بتعبير أدق نافسه كثيرا ، وكثير من أوصاف المرأة ألبست للمذكر ، حتى إنه ليدق فى بعض الأحيان أن نعرف إن كان الشاعر يتغزل فى مذكر أو مؤنث

لكن إذا وجدت بعض الأوصاف الخاصة بالمذكر مثل العذار الذى يسيل على خد ، فهنا يتعين أن المحبوب مذكر ... إلخ .  
والنموذج الذى يستنبط من أشعار الغورى فى الغزل له خطوط عريضة ذات جذور عميقة فى التراث السابق على الغورى ، فصيحة الغزل تتكون من شخوص أولها شخص المحبوب ، وثانيها شخص المحب ، والثالث شخص العذول .

فالمحبوب من ناحية الجمال الجسمى قمر الوجه ، أهيف القد ، جميل الخد ، يغار منه الغصن الرطب والورد الزاهى ، عيونه خلابة ، فاترة ، تحجل من جمالها عيون النرجس ، على وجهه ماء الحياة ، وبهاء الشباب وتوقده ، ثغره بسام مشرق ، ناصع بياض الأسنان ، شهد الريق ، شعره أسود فاحم ، كالليل البهيم ، إذا مشى تأود ، خصره نحيف ، وردفه ثقيل .

ويتمثل جماله النفسى فى طيش لبه فهو غر ، لكنه ممتنع ، صعب القيادة ، نافر كالغزال ، لا يجيب دعوة داع ، ولا يشفى مريض حبه ، يفرح بشكوى الشاكين ، ولا يمسح دموعهم بوصالهم .

والمحب يدرك جمال المحبوب ، فيسقط فى بحر حبه ، ولكنه لا ينال شيئاً ، يهجره الحبيب فيأس ، ويبكى وينتحب ، ويظل الليل سهران ، يكوى الحب ضلوعه ، ويوجع قلبه ، وتخرج زفراته حرى ، ويتم شهيقه عن حبه ، ويهزل جسمه ، وتضعف قواه ، يشكو إلى المحبوب فلا يسمع ، ويدعوه فلا يطيع ، يعود الطيب فلا يرضى علاجه ، إنه يعرف داءه ، وفى دائه كل دوائه ، ولكن هيات ، يلومه اللاثمون ، فلا يلتقى إليهم بالا ، ولا يعبرهم اهتماماً ، يزعمونه بكلامهم ، فلا يزداد إلا عنادا وإصرارا على حبه حتى الموت ، يحاول دوماً أن يخفى دموعه عن العاذلين .

العذول : شخص بغيف ، قاسى القلب ، جلف الطبع ، لا يلدرى ما الحب ولا يعرف جمال المحبوب ، لاهم له إلا إلقاء اللوم على المحب الوامق ، يشى بالأسرار ، ويترقب اللقاء ، ويتسمع الحوار ، يصف المحبوب بصفات رديئة ، ويحاول أن ينقص من قدره أمام المحب ، لكنه يتبلى دائماً بالفشل الذريع .

بهذه الشخوص الثلاثة ، يضاف إليها حادث اللقاء الذى يوقع الحب بين المحب والمحبوب ، تتكون نماذج الغزل عند السلطان الغورى فى قصائده ، لكنه قد يحذف من نموذج شيئاً ، أو يعكس الترتيب أو يزيد بأن يدخل على الصورة الحمامة الباكية ، ليشاركها البكاء ، كل يبكى على حبيبته ، أو أن يجعل المحبوب يلين بدل الامتناع . كل هذا يجده القارىء فى شعر السلطان الغورى .

. . .

٢ - الموضوع الدينى : يقوم شعر السلطان الدينى على نماذج عليا هى الله ( سبحانه ) والنبي ( ﷺ ) والناس والشاعر والنعم .

فإن الله له الأسماء الحسنى يستخدمها الشاعر فى بناء القصيدة ، كل اسم حسب مقتضى الحال ، فهو المنعم الذى عمت أياديه الورى ، إذا تلفت الشاعر يمنة أو يسرة وجد خيرات الله كثيرة ، وهو الستار الذى يحفظ أسرار الإنسان حتى خطاياها ، وهو الرحيم الذى يمنو على الإنسان ، وهو العفو الغفور الذى يمحو السيئات ، وهو الثواب الذى يتوب على التائبين ، وهو المعطى الذى منح الغورى ملك مصر ... الخ .

والنبي ( ﷺ ) رحيم ودود وراء وف ، شفيع يوم القيامة ، وهو أول الخلق ، وهو أفضلهم أجمعين ، هدى الأمة إلى الخير ، وعلمها ما لم تكن تعلم ، كل ذلك عن طريق الوحي ، نور عم الورى ، صعد إلى السماوات العلا ، وصلى إماما بالأنبياء والرسل ، ووصل إلى النور فى الملكوت الأعلى عند سدرة المنتهى ، والصلاة والسلام عليه واجبة من كل مسلم ، يستجير به كل حيران ، ويتوسل به كل طالب حاجة ، فعليه وعلى آله الصلاة والسلام ... الخ .

الناس مختلفون ، قليلهم شاكر ، وكثيرهم كافر ، يضيع بعضهم عمره فى المعيب واللغو ، وإذا ذكروا بالله ، لا يذكرون .

الشاعر: يحس نعم الله ، ويرأها كثيرة ، وبخاصة أن الله آتاه ملك مصر دون قتال ، ووحد له الجند والرعية ، ويجد الشاعر نفسه مقصرا في شكر الله ، فشكر الله فرض عين عليه ، فيجب أن يشكر ، لكن ذنوبه كثيرة ، هذا الإحساس بالذنب يجعله يقر دائماً بعبوديته لله ، وأنه عبد من عباده مؤمن ، يرتجى رحمة ربه ، ويخشى عذابه ، ويدعوه كثيراً أن يسامحه ويرى الملك ثقيلاً عليه فيدعو الله أن يعينه عليه ، وأن يجمع له قلب الرعية ، إذ هي بيد الله ، لذا يفوض أمره إلى الله ، كما يدعو الله أن يحفظ عسكره وأمراء دولته ، ويدعو على المنافقين الذين يبطنون العداوة له والمعصية ، ويظهرون حبه وطاعته ، ويتوسل في سبيل ذلك بالنبي الكريم ( ﷺ ) ويدعوه ربه أن يسعده في الآخرة بالنجاة من النار ، وأن يشفع فيه المصطفى ليدخل الجنة ) ويختم دوماً بالصلاة والسلام على النبي وآله واصحبه الكريم .

هذه صورة مستمدة من قصائد الشاعر الدينية ، والقارى يراها موزعة عبر النصوص ، يضاف إلى ذلك قصيدته في ليلة النصف من شعبان ، وفضلها العميم ، ووجوب الاهتمام بها ، والدعاء والعبادة فيها ... الخ .

### ٣ - المديح :

( أ ) أطول قصيدة قالها السلطان هي رد على قصيدة مدح ابن فرفور له ، في هذه القصيدة ، سرد السلطان ما صنعه ابن فرفور في قصيدته المدحية ، وما تنبأ به للسلطان من نصر على الأعداء وتمكين في الأرض ، واستبشار بأن العيد عود بالهناء ، ... الخ ما في قصيدة ابن فرفور من أفكار ، ثم أثنى الغورى على هذه القصيدة ، فألفاظها في نظره - در منضود ، وأفكارها أبتكار - وروحها طيبة تنم عن إخلاص ، ثم رجب بابن فرفور في مصر - دار ملكه - وأخبره أن سيجد غاية ما يؤمل ، وزيادة وأن السلطان سعيد بوجود مثل ابن فرفور في دولته ، ومدح ابن

فرفور قاضى القضاة بما يليق بالعلماء من الأوصاف ، فهو حبر ، جليل  
القدر ، عامل بعلمه ، وهذا ما يجعل السلطان يكرمه ، ولا يرجو منه سوى  
دعوة خالصة له يستجيبها الله (سبحانه) فيغفر ذنوبه ، ويسعده فى الآخرة ،  
كما أسعده فى الدنيا . ويختتم القصيدة بالصلاة والسلام على النبي الكريم  
كثيراً .

(ب) مدح النبي (ﷺ) : مدح الغورى النبي فى قصيدة ركبها تركيبة  
بديعة فقد وصف جسده الشريف ، فقوامه أسر ، وطرفه كحيل ، وخده  
وردى ، وقده أهيف ، وشعره أسود ، وخاله عنبر ... الخ . والملاحظة  
أن هذه الصورة هى الصورة المثلى فى عصر الغورى للمحبوب ، ما خلا  
بعض الصفات الأخرى التى لا تليق بجلال النبي (ﷺ) .

وصور نفسه (ﷺ) فهو رحيم محسن متعطف ، وهو أعلى الخلق  
وأشرفه ، وهو أول الخلق ، وهو نور ، أضاء العرش بنوره ، حتى  
لتعجل الشمس من نوره فتتكسف ، وهو على المقام ... الخ ...

وصور وظيفته ، وهى الهداية إلى الصراط المستقيم ، والتعليم ، والأمر  
بما يرضى الله ، والنهى عما يسخطه ، وإنصاف المظلوم ، والشفاعة يوم  
القيامة ، وأنه يجير المستجيرين به ، ويدعو الله لهم أن يغفر لهم ، فيستجيب  
الله له ، لأنه يحبه ، وهو الذى يشفعه فى الناس ... الخ ...

ويختتم الغورى مدحه للرسول بأن يجيره من عذاب النار ، ويصلى عليه  
ويسلم كثيرا ... الخ .

(ج) مدح أهل حب الله : هم أصحاب الكمال الإنسانى ، لقد عاينوا  
الجلال الإلهى ، وشاهدوا الجمال الربانى ، فاستولى عليهم ذلك النور ، فى  
المللكوت الإلهى ، فتنافسوا فى حبه ، ولم يقنعوا بشيء منه سوى طيب الوصال ،  
لأنهم لم يطلبوا قرب الله لا خوفاً من ناره ، ولا طمعا فى جنته ، بل قصدوا  
من القرب وجهه الكريم ، الذى ليس كمثل شىء ، وهذا حال الصب المخلص .

بهم يتوسل الغورى أن يستجيب له ربه ، ويتولاه ، لقد آتاه ملك مصر ، ولكنه خاشع خاضع لله رب العالمين الذى ليس له رب سواه ، وبهذا لا يعبر غيره انتباها ، وهو يستغيث برسول الله (ﷺ) فى هذه الدنيا والآخرة ، ويختتم بالصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) ... إلخ

#### ٤ - التصوف :

(١) خمر الصالحين : على طريق القوم فى استخدام الرمز الدينوى ، تعبيراً عما يشعرون به من لذة ، استعمل الغورى الخمر رمزاً للذة الروحية ؛ ومجلس الخمر يتكون من الساقى والندامى أو الشرب والخمر وكاساتها ، واللذة التى تحدث عن الاحتساء ، إن الساقى فى جميل المحيا ؛ بديع الطلعة ، كالبدنر ليلة التمام ، حديثه عذب ، وريقه شهد ، وعيناه ساحرتان ، إنه مصدر متعة لمن يحس الجمال ، وهو يحمل الخمر ، تلك الخمر التى تذهب الهم والحزن ، وتحيل البخيل كريماً ، والتعيس مسروراً ، والشقى سعيداً ، والساقى هنا هو رمز للآخذ بيد المريد إلى الحضرة الإلهية ، والخمر رمز للنشوة الناشئة عن القرب من الله الكريم ، لكن سرعان ما يتحدد هذا الرمز عند الغورى ، فيفقد بذلك إجماعه ، ويتحدد تحديداً إشارياً ، فهو قد نفي عن هذه الخمر التى هى رمز للنشوة ، نفي عنها أن تكون عصير عنب ، أو أن تناولها يد العصار ، أو أن تخزن فى دبر ، أو أن تتولاها يد الرهبان بالعناية ، كما نفي عنها الجرمية والنوعية والجنسية ، ثم حددها بأنها الروح والراحة ، تذاق وتدرك ، ولا توصف ، ولا تراها العين من لطفها ، تقدمت عن الظنون التى تتعلق بالحس ، ضاقت على أهل الفصاحة سبل وصفها ، لأنها نور تتوق النفس إليه باستمرار ، بالسعادة من أدركها بذوقه !! لأنها أفضل من كرمى الملك الذى يجلس عليه الغورى ، ولا ينشك مثل خبير . شمل عرفها الآفاق . ثم يتوق الغورى إليها ، لعله يظفر منها بنهلة تروى ظمأه ، إنه لما أحسها نظم فيها أرق شعره ، شعره فيها يحلو تكريره - كما يرى - وتعذب ألفاظه ، ويعلق بالنفس ، ويحفظ كالدرس . إن الغورى يسأل الله أن يزيده منها ، ويختتم بالصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) ... إلخ .

(ب) القرب من الله (سبحانه) : يتكلم الغورى على طريقة الصوفية ، عن الوصول إلى الله ، وعن الأحبة في الله ، وأن منتهى السعادة في ذلك، وهو يتوسل بهؤلاء القوم ويتشفع بهم إليهم أن يجعلوه في حضرتهم النورانية وأن لا يصدوه عنها بسبب خطئه ، فالعفو من شيم الصالحين ، وإن المحبوب الأعظم عفو يحب العفو. إنه يتوسل إليهم أن يجودوا عليه بطيب الوصال . إنه كلف مجهم وجاهم . ويتساءل هل سيفوز بقربهم يوماً أولاً ؟ ولعل الخطاب بالجمع هنا يعود على الذات العلية ، كما هو حال الصوفية ، وليس إلى جمع من الصالحين ، فهذا احتمال من احتمالات فهم النص الصوفى . ويدير الغورى وجهه بعيداً عن ماذله في حبه لأهل الجمال والجلال . ثم يقول له ، وماذا يفيد اللوم من لا يسمع ؟! فليرعوا .

٥ - الهجاء الاجتماعى : نقد الغورى قطاعاً من المجتمع هو طائفة الفقهاء المرائين ، ويقوم نقده لهم على مفارقة في الصورة ، فهم يهتمون بالشكل الخارجى دون المضمون، ترى ثيابهم بيضاء، وأكمامهم طويلة، ومناكبهم معقودة ، وأصواتهم عالية ، يتجادلون في جزئيات لا قيمة لها ، وإن كان لها قيمة ، فهى لا تساوى عناء الجدل ، إن قال أحدهم فى حل المسألة : كذا يقول الآخر : لا ، بل كذا ، ثم يتدخل الثالث قائلاً : لا ترى هذا ، والرابع يقول : لا نسلم بهذا ، وهكذا حتى يشعروا العامة أنهم علماء ، وما هم من العلماء ، ولا من العاملين ، لقد هجروا العلم ، وتركوا المعلم ، واسردت قلوبهم ، وانطفأ نورها نتيجة مراهمهم ، وعدم عملهم بعلمهم ، لقد قست قلوبهم ، فلم يتورعوا عن ارتكاب الموبقات ، وأكل الحرام الذى رمز له الشاعر بأكل الوقف، ثم حذر الشاعر الناس من مثل هؤلاء الفقهاء ، وأمر الذى يرى أحدهم أن يستعيد بالله من هذا الشيطان ، شيطان الإنس . إنها صورة بديعة على الرغم من بساطتها .

٦ - خمرة الدنيا : صورة متوارثة ، تلقفها الخلف عن السلف من الشعراء ، فجلس الخمر ينعدد ليلاً ، ويدور الساق بالخمرة ، التى تفعل



فعلها في الشاربين ، فتبدل أحوالهم من التعاسة إلى الهناء ، وهي رقيقة كالنور ،  
رائحتها ذكية ، تلمع بالليل البهيم ، من لم يرغب بها سكرأ ، فاته خير كثير ،  
إنها في نظر الغورى أفضل من ملك مصر كله ، الملك يتعبه ، وهي تريحه  
فستان ما بين الأثرين . يكفيه حبها ، وحب نداماها الذين لانجد فيهم من  
ينغص الحياة ، إن الشاعر متأثر بها وقال فيها شعراً جميلاً - من وجهه نظره  
.. الخ .

هذا يقضى درس موضوعاته دراسة سريعة وموجزة حسب ما استدعيه  
المجال ، ويبقى قطعتان منظومتان ، إحداهما في ترتيب قص الأظافر ، والأخرى  
في أيام القص ، وهذا بلا شك ليس من الشعر في شيء .

أما تصوير الشاعر ، فيغلب عليه التجريد في الأسلوب ، وهو غالباً  
أسلوب عادى ، ليس فيه ظواهر تستدعى الوقوف أمامها كثيراً ، وهذا  
نتيجة الضعف اللغوى الذى ساد العصر المملوكى ، ونتيجة ضعف الغورى أيضاً  
في لغة العرب ، حتى إن لغته لتقترب من العامية كثيراً ، وأن اللحن يقع  
في بعضها ، وكثير من نظمه أو شعره يقترب من النثر بل إن هناك بعض  
النثر أجود من شعره ، ولكن الجدير بالذكر أنه إنتاج تركى تعلم  
العربية ونظم بها ، ومع ذلك فقد بلغ في بعض شعره درجة عالية من  
الفنية .

أما الأوزان التى استعملها الشاعر فهى :  
١ - الطويل .  
٢ - البسيط . ٣ - الكامل . ٤ - الرمل . ٥ - الوافر . ٦ - السريع .  
٧ - المتدارك .

وحروف الروى التى استعملها هى :  
١ - الهمزة . ٢ - الباء .  
٣ - التاء . ٤ - الدال . ٥ - الراء . ٦ - السين . ٧ - العين .  
٨ - الفاء . ٩ - القاف . ١٠ - الكاف . ١١ - اللام . ١٢ - الميم .  
١٣ - النون . ١٤ - الهاء . ١٥ - الواو .

وكان يتغنى ببعض قصائده ، كما كان يتغنى بموشحانه ، يتضح هذا من وجود المقام الموسيقى فوق هذه القصائد والموشحات .

### موشحات السلطان الغورى

عددها إحدى وعشرون موشحة ، وكلها بسيطة التركيب ، يسيرة الأفكار ، تدور حول غرض واحد هو الغرض الدينى ، إنها ابتهالات دينية ، دعوات واستغفار ، وطلب الرحمة ، ولا يوجد بها من أفكار الدنيا سوى فكرة أن السلطان ظل الله في الأرض في الموشح الأول ، وفي بعض الموشحات بعض الأفكار الصوفية كفكرة الفناء في ذات الله .

وهى من حيث الشكل الفنى أقرب إلى المسمطات منها إلى الموشحات ، وكلها من النوع الأقرع ، أى الذى يبدأ بالدور مباشرة ، ما عدا الموشح رقم ١٤ فإنه تام ، أى بادئ بالقفل ، وهو مكون من ستة أفعال ، وخمسة أدوار ، وفي أفكار مختلفة عن بقية الموشحات ، إنه فى الغزل ، يتكلم عن المحبوب ، ومدى حبه له ، وعن الوشاة والعاذلين ، وعدم استطاعته النوم ، كما هى الصورة الموروثة ، غاية الأمر أن التجديد موسيقى فحسب .

يتراوح عدد الأفعال والأدوار ما بين أربعة وتسعة ، والأفعال من جزء واحد ، وكذا الدور ثلاثة أجزاء من فقرة واحدة لا يستثنى من ذلك إلا الموشح رقم ١٤ فإن القفل مكون من جزئين مكونين من أربع فقر ، والدور مكون من ثلاثة أجزاء ، كل جزء من فقرتين .

كانت موشحاته يعنى بها فى مجلسه ، بدليل وجود مقاماتها الموسيقية على رءوسها . والنغمات المستعملة فيها هى : ١- التشاورك . ٢- الحسينى . ٣- الحير . ٤- المصرية . ٥- العشاق العجم . ٦- الأبوسليك . ٧- القاهرية . ٨- العراق . ٩- الروضة . ١٠- الغزل . ١١- الكردانية . ١٢- النوى . ١٣- النيريز .

والحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات .

[ البسيط ]

قافية الهمزة :

• في لام خدك ذال ( للهوى ) ياء  
يا من لاله لام ولا ياء  
وحاربوني فذ لاحت لأعينهم  
واو من الصدغ يجلو عطفها فاء  
قالوا سل عنه أما شاهدت عارضه  
في الخلد أخضر قلت : النفس خضراء  
جاءوا يلومونني سرا بجهلهم  
عن الحبيب ، فراحوا مثلما جاءوا  
فكيف يقبل منهم عاشق عدلا  
والعاذلون لأهل العشق أعداء  
تخشى عدولا أطال اللوم في قمرى  
فإنه عند أهل العشق إغواء  
من لى بأهيف سحار اللحاظ له  
ميل إلى تلف المضى إيماء  
للغصن فى الروض تطراق إليه كما  
للرجس الغض من جفنيه اغضاء  
وفى محياه ان قابلت طلعه  
نار وماء ولا نار ولا ماء  
للزمان اندراج فى محاسنه  
فالثغر والشعر إصباح وإمساء

• هذا البيت مكسور لو ظل كما هو فى المخطوط . فالموجود بالمخطوط ما يلى :

فى لام خدك ذال الهوى ياء يامن لاله لام ولا ياء

والصحيح ما أثبتته .

والشطر الثانى الأفضل أن يكون ( يا من ليس له لام ولا ياء )

وما يزال معنى الشطر الأول غير مفهوم بالتام ، وربما لو كانت ( ذال ) ( واو )

تتركب من الحرفين و + ح = وى للتعجب .

عشاق عينيه يرميهم بسهمهما  
فما يصيبهم إلا بما شاءوا (١)  
ساجي اللواحظ لولا سحر مقلته  
ما كان لي بثبات السقم اغفاء  
وسنان قلت أشكو له سهدى  
يا ناعس الطرف ما للعين اغفاء  
انظر إلى بعين قد قتلت بها  
وداوني بالتي كانت هي الداء (٢)  
أهى له قصة الشكوى معنة  
لو كان يسمع للمظلوم انهاء  
ان كان في النار قلبي من تباعده  
فوجهه جنة والعين حوراء  
(بقاف) (٣) أقسم لولا نور حاجبه  
لم تهق صناد ولاباء ولا راء  
نعم ولولامعاني ابن الشهيد (٤) نمت  
لم يحل ميم ولا دال ولا حاء

• • •

---

(١) الشطر الثاني شطر بيت لأى نواس بألفاظه الديوان .  
دارات على فتيه دار الزمان بهم  
(٢) شطر بيت شعر أبى نواس . ديوانه  
وكان يومئذ شاماً وعد لونا بلاغيا  
(٣) أى بسورة (ق) ...  
(٤) علم لم اهتد إلى تحقيقه .

[ مجزوء الرمل ]

قافية الباء

من النهفت (١) :

جل علام الغيوب	جل مولانا تعالى
فأ نارت في القلوب	أشرق شمس هداه
لزوال وغروب	لم تمل ان شاء عنها
هي آثار الذنوب	كم محت من ظلمات
غمرتنا بالكروب	وجلت عنا غموما
مع ستر للعيوب	مع حلم مع صفح
وإلى الذنب يؤوب	مع كون العبد يعصى
وهو في الوعد كذوب	يجعل التوبة وعداً
عنه ما دام يتوب	يقبل العبد ويعفو
صفوه بما يشوب	يرتجى الغورى منه
عنه يمحو كل حوب	يسأل الرحمن عفواً
سلما لا بالحروب	ما تولى الملك إلا
لجماعات تلوب	وعلى الملك قلوب
فرض عين في الوجوب	فعلى الغورى شكر
هو يكفيه الخطوب	شكره ذكر إله
كاد في الصدر يذوب	قلبه منه حياء
كلما هبت جنوب	وعلى المختار صلى
ما هي غيث يصبوب	وعلى آل وصحب
محمد رسول الله (٢)	لا إله إلا الله
أنت علام الغيوب	أنت يا مولى الموالى
أنت ستار العيوب	أنت كشاف الكروب

(١) هي مقام من المقامات الموسيقية ، وهذه القصيدة كان يغنى بها في هذا المقام .

(٢) زيادة بالأزهر ( ما بين المقوفين ) .

## قافية التاء

[ الكامل ]

من دهرنا تزكو بها الأوقات  
فيها تجاب لكم بها الدعوات  
ودنا بموعدها لنا ميقات  
يروى الأحاديث الصحاح ثقات  
في الذكر من تنزيله آيات  
فيها، وفيها تسقط الورقات (١)  
وبقلوبهم قد حفت الطاعات  
مذ قام دين المصطفى السادات  
مما تقام بجنحها الصلوات  
لله أن تقضى له الحاجات  
لى منك فيها تشمل الخيرات  
وصلاحه أن تسعد الحركات  
أمن، وفيها تنزل البركات  
تصفو وتصلح منهم النيات  
فيه تحيط من الردى هلكات  
حزم وعزم صادق وثبات  
فى الملك أركان له وحماة  
وسعادة تعلق بها الدرجات  
وجه الزمان وجودهم حسنات  
منها يضىء بقلبه مشكاة  
وبها تفيض عليه منك هبات  
أبدا سلام دائم وصلاة  
فترادف الأوقات والساعات

لله فى أيامنا نفحات  
فيها تجاب فتعرضوا وتضرعوا  
هذى مواسمها لنا قد أقبلت  
فبفضل شعبان وليلة نصفه  
وبفضل ليلة نصفه قد فسرت  
إذ قيل: يفرق كل أمر محكم  
هى ليلة فيها على أهل الهدى  
هى ليلة مازال محتفلا بها  
هى ليلة هجروا مضاجعهم بها  
هى ليلة يتوقع الداعى بها  
يا ربنا فيها تقبل دعوة  
أصلح لى الملك الذى قد قلدتنى  
وتدر أرزاق الرعية فيه فى  
واجمع قلوب عساكرى جمعآبه  
وجميع من فى قلبه غش لنا  
وانصر وأيد من جنودى من له  
واحفظ لى الأمرا وانصرهم فهم  
وانظر لهم واشملهم بعناية  
لا سيما أركان دولتنا ففى  
ولعبدك (٢) الغورى فانظر نظرة  
وبها ينال مناه منك جميعه  
وعلى النبى وآله مع صحبه  
ما دامت الأفلاك دائرة بها

(١) أى الأرواح والأعمار  
(٢) فى المخطوط (وبعدك).

قال نُجَيم الدين الغزوي: « أحمد بن محمود بن عبد الله بن محمود قاضي القضاة العلامة شهاب الدين أبو العباس الشهير بابن الفرفور الدمشقي الشافعي ، ولد في نصف شوال سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، ... ، وكان له شعر متوسط ، منه ما قرأت بخط الشيخ شمس الدين بن طولون في تاريخه ، ونقلته من خطه أيضاً ، قال أنشدنا قاضي القضاة ولي الدين بن الفرفور لوالده قاضي القضاة بمصر والشام الشهابي بن الفرفور يمدح سلطان مصر الأشرف قانصوه الغوري ، فقال في العشر الأخير من جمادى الأولى منه ثمان وتسعمائة :

[ الطويل ]

- ١ - لك الملك بالفتح المبين مخلد  
لأنك بالنصر العزيز مؤيد
- ٢ - وأنت العزيز الظاهر الكامل الذي  
هو الأشرف الغوري وهو المسدد
- ٣ - تملكته والسيف كاللحظ هاجم  
بأجفانه والرمح هاد ممدد
- ٤ - بأمن ولاخوف وسلم ولاوغى  
ولكنه عيد لعود يؤيد
- ٥ - فلكك يوم العيد جاء مبشرا  
بعود سرور كل عام يجدد
- ٦ - ولم تلك يوما ساعيا طالبا له  
ولكنه وافاك يسعى ويجهد
- ٧ - تقلدته من مالك الملك راضيا  
بما قد أراك الله تثنى وتحمد
- ٨ - وكان لك الله المهيمين حافظا  
يعينك في كل الأمور ويسعد
- ٩ - وكم فئة لايت عليهم قلوبهم  
ولكن إليه لم تظلم منهم يد

- ١٠ - ومن عائد المقدور منه فقد قضى  
وكان له من منهل الهلك مورد
- ١١ - فبشرى بتمكين من الله دائم  
ونصر على الباغي ومن كان يحسد
- ١٢ - لقد شاع في الأسماع ما قد حويت من  
صفات بها منك الكمال مؤكدا
- ١٣ - ففي السلم حلم فيه كالماء رقة  
وفي الحرب نار جمرها يتوقد
- ١٤ - لأنك حامى حومة الدين بالظبا  
وللسيف خد بالدماء مورد
- ١٥ - بذلك شم الراسيات بعسكر  
إذا سار ضاهاه الجراد المبدد
- ١٦ - وإن دخلوا دارا لأعداك أففرت  
وإن ورودا بحرا يحف وينفذ
- ١٧ - وقد ساقنا ما شاقنا من سماعها  
محسا نراها بالعيان ونشهد
- ١٨ - وكان الذى قد شاهدته عيوننا  
بأضعاف ما قال الرواة وعددوا
- ١٩ - فتجلس فى التخت الشريف بطلعة  
بها تدهش الأبصار إذ تردد
- ٢٠ - يدبر أمر الملك منك روية  
يربك بها الله الصواب فترشد
- ٢١ - وتجلس فى الشورى مع الأمراء فى  
نهارك للملك الشريف تمهد
- ٢٢ - وتستقبل الأذكار بالليل ساهرا  
بترتيب أوراد بها تعبد



- ٢٣ - فتستغرق الوقتين حكما وحكمة  
فتجهد أما في الدجى تهجد
- ٢٤ - كما قد رأينا الحال ليلة مولد  
فياحبذا ذكر وورد ومورد
- ٢٥ - وياحبذا لحن عن اللطف معرب  
ونظم بديع فهو در منضد
- ٢٦ - فذكر وتسييح وتمجيد خالق  
وتقديسه لا لغو فيه ولادد
- ٢٧ - فهذا هو الذكر الجميل الذي غدا  
على طول هذا الدهر يروى ويسند
- ٢٨ - فللخلفاء الراشدين بمثل ذا  
مآثر تروى عنهم ليس تجحد
- ٢٩ - ونعم المماليك الذين تعلموا  
وقد لازموا الأوراد حتى تعودوا
- ٢٠ - مزامير داوود وإلا بلابل  
وورق وكل كالغزال يغرد
- ٣١ - وأطربنا في المجلس الشيخ حيدر (١)  
فطينا وقلنا إنما هو معبد
- ٣٢ - وجانم في الإيقاع تحريك عضوه  
على الوزن في أمثاله ليس يوجد
- ٣٣ - ومنه لنعمان سمعنا قراءة  
بها كل مسموع سوى الذكر يزهد
- ٣٤ - فألحانهم فخر لهم وسعادة  
وخير وفضل وارتقاء وسؤدد
- ٣٥ - فله أو في الحمد نلنا مرادنا  
وفزنا بما كنا نروم ونقصد

- ٣٦ - وقد شاهدت سلطاننا قدحوى  
صفات كمال مثلها ليس يوجد
- ٢٧ - يجب لأهل العلم والفضل والتقوى .  
بحيث إليهم دائما يتودد
- ٣٨ - ويسأل في العلم الشريف مسائل  
تتوزع على درك الفهوم وتبعد
- ٣٩ - كذا أولياء الله أيضا يحبهم  
ويدعولهم في ورده ويمجد
- ٤٠ - ومولد خير الخلق أحرار عادة  
بها كل خير دائما يتولد
- ٤١ - فبالأشرف الغورى يطوى حديث من  
بأخبارهم كم جاء سفر مجلد
- ٤٢ - فأقسم لا يسعى إليه مشقة  
ولا سفرة أدت لرؤياه تبعد
- ٤٣ - وقد حاز أنواع المحاسن كلها  
كمالاً وفضلاً فهو فى الدهر مفرد
- ٤٤ - فدام له النجل السعيد ممتعا  
بما يرتضى والعيش أصفى وأرغد
- ٤٥ - وقرت به عيناه طول زمانه  
على درجات العز يرقى ويصعد
- ٤٦ - ولا زال فى عز ونصر وملكه  
على رغم أنف الحاسدين مخلد
- ٤٧ - وألف صلاة مع سلام تصاعدت  
يلقاها بخير الأنام محمد

فلما وقف عليها السلطان الغورى اتهج بها وقرأها بنفسه على من حضر  
وكافأه عنها بقصيدة من نظمة وجهزها إليه ، وهى : [ الطويل ]

أجادلنا القاضى ابن فرفور أحمد  
مدحنا به أنى عليه وأحمد  
شهاب لدين الله والشمس باهر  
مناقبه مشهورة ليس تجحد  
وقاضى قضاة الشام جاء يزورنا  
ويثبت دعوى حينا ويؤكد  
ويهدى لنا منه الدعاء فمرحبا  
به زائراً للأنس جاء يجدد  
له عندنا الإكرام والعز والرضا  
وفوق الذى من غيرنا كان يعهد  
ولما تأملنا بديع بيانه  
وحسن معانى نظمه حين ينشد  
وجدنا قصيدا كل بيت به غدا  
يرى أنه فى الحسن قصر مشيد  
بلاغتها كالسحر وهى فصيحة  
وألفاظها الدر النفيس المنضد  
وبشرنا فيها بتمكين ملكنا  
وأنا بنصر الله فيه تؤيد  
لأن إلينا مالك الملك ساقه  
بحيث أتانا وهو يسعى ويجهد  
ولاحظ أن العيد عود تفاؤلا  
لنا بسرور عوده يتأبد

وأنا بعون الله نقهر ضدنا  
ومن قد بغى جهلا ومن كان يحسد  
وترجم عنا في الحماسة والوعى  
بأبلغ ما في مثل ذلك يقصد  
ووصف الذى قد كان ليلة مولد  
عبارته فيها لجين وعسجد  
ففيها قد استوفى الوقائع كلها  
بنظم به الذكر الجميل مخلد  
وعدد أوصافا لنا في مدحه  
بأحسن لفظ في المدائح يورد  
وقد سرنا في ملكنا أن مثله  
لما فيه من جمع الكمالات يوجد  
إمام كبير في العلوم وقد حوى  
محاسن في أوصافه تتعدد  
سخاء وجودا ، عفة ونزاهة  
وفخر على أهل الزمان وسودد  
ويحمل كل الكل إن كان حادث  
وإن جل خطب أو تكدر مورد  
فهذا به في الحكم قبرا ذمة  
وهذا له فضل القضاء يقلد  
وهذا به استدراك ما اختل كله  
وهذا به إصلاح ما كان يفسد  
فأهلا وسهلا مرحبا لقدمه  
له عندنا أعلى مقام وأحمد  
وسوف يرى من قربنا ما يسره  
ونطرده عنه كل سوء ونهبد

بحيث تقر العين منه ولا يرى  
من الدهر في أيامنا ما ينكد  
ونسعفه في كل ما قد أهمه  
ونبسط في حكم لديه ونعضد  
ويبلغ في أيامنا غاية المنى  
ويأتيه أحلى العيش فيها وأرغد  
فإننا رغبتنا منه في صالح الدعاء  
ولا سيما في الليل إذ يتهدد  
فناظمها الغورى غاية قصده  
دعاء له من مخلص القلب يصعد  
بعفو وغفران وحسن عواقب  
وخاتمة بالخير وهو يوحد  
وبالحشر مع من أنعم الله بالهدى  
عليهم ومن من نوره النار تحمد  
وبعد صلاة من إلهى دائما  
على المصطفى وهو النبي محمد  
وآل وصحب كلما هبت الصبا  
وناح على الأفنان طير مفرد

قلت ، ولا شك أن القصيدة الثانية أقرب من الأولى إلى الحسن  
والرقة ، وبين القصيدتين فرق ظاهر ، . . . ، وكانت وفاة قاضى  
القضاة شهاب الدين بالقاهرة فى سابع جمادى الآخرة سنة  
إحدى عشرة وتسعمائة ...

---

انظر ترجمه أحمد الفرورى فى كتابه (الكواكب السائرة ، بأعيان المئة العاشرة)  
للشيخ نجم الدين الفزى ص ١٠١ ن ١٤١ تحقيق جبرائيل جبور ط / المطبعة الأمريكية - بيروت  
١٩٤٥ م .

قافية الراء :

في ترتيب قص الأظافر [كامل]

الخنصر الوسطى بهام بنصر      سبابة ترتيب عني يؤثر  
وأختها إبهام وسطى خنصر      سبابة وبعد ذلك بنصر

قافية السين : [ بحر الطويل ]

حلا القوم في حضرة الأنس  
فلاحت وجنة في وجنة الشمس (١)  
وهامت بمن تهوى وفاز بوصلها  
بغير رقيب العقل أو حاسد النفس  
ولما سرت في سرهم بسروها  
تظهرت الأرواح من دنس الرجس  
صفت فصفوا حين اصطفاهم حبيبهم  
لمشربها قبل التعين للغرس  
فأهى من حبات عنقود كرمة  
تخامرها بالعصر يوما يد النفس  
ولا اختزنت في دن دبر ولم يكن  
ولاية رهبان عليها ولا قس  
ولكنها الراح التي هي روح من  
تناهى بها محبي الفنا إلى الطمس  
ولا هى جسم قام من جر عنصر  
ولا هى من نوع ولاهى من جنس  
وليست تراها العين لطفًا وإنما  
تذاق بلا طعم وتعلو على اللمس  
ولكنها نور لطيف فسرهما  
تقدس عن وهم تعلق بالحس  
فتشتاقه الأرواح والنور ساطع  
وفى وصفها أهل الفصاحة كالحر من  
فطوبى لمن قد شام لامع برقها  
فإن سناها قد محاذ ظلمة النفس

(١) البيت بهذه الصورة مكسور ، ولعل صحته ما يلي :

حلا الكاس للقوم في حضرة الأنس فلاحت بوجنة كوجنة شمس

ويعبق في الأكوان من طيب نشرها  
عبر به تخفى الرمايم في الرمس  
عسى يظفر الغورى منها بنهلة  
تكون له أشهى من الملك والكرسى  
ويكفيه منها صدق حب لأهلها  
وشعر له فيها يدون بالنفس  
ومن حظه في شعره أن شعره  
تكرره يحلو ، فيحفظ كالدرس  
ويعذب في الأسماع من در لفظه  
ويجرى به ريق المدام على الطرس  
فهذا له حق يميزه على  
جميع ملوك العرب والترك والفرس  
فيارب زده منك فضلا ونعمة  
وكل غد يلقاه خير من الأمس  
وصل رب على البشير مسلما  
وآل وصحب حين نصبح أو نمسى



قافية العين :

[ بحر الكامل ]

صب يموت وعينه تتطلع  
لم يبق لي في النوم بعدك مطمع  
والنوم ليس له هناك موضع  
خوفاً لما قال الوشاة وشنعوا  
فعسى يسرك نيلها المتقطع  
خفض عليك فإنها لا تسمع  
يدري وأعلم أنها لا تنفع  
نبكى على غصن النقا ونرجع  
قدميه وهو السائل المتخضع  
أتراك بعدى في حياتك تطمع  
إلا الصبابة والبكا والأدمع  
ولك البقاء فإنني لا أرجع

أجفانه من سهره تتوجع  
وحياة ناظرك الهنا (١) بالكرى  
خضبت عيني بالدموع وبالبكا  
ومدامعى تمشى وتوقف تارة  
فانظر لعيني وهى تبكى رحمة  
وإذا شكوت تقول لى (٢) أقرانه  
فأكرر الشكوى مطالعة عس  
وأقول للورقاء هبى والأسى  
والدمع يطرح نفسه ذلاً على  
لا كان يوم البين وهو يقول لى  
يا راحلاً لم يبق لى من بعده  
سر فى أمان الله بين جوانحى

(٢) زيادة يقتضيا الوزن .

(١) زيادة يقتضيا الوزن .

قافية العين :

[ بحر الكامل ]

بكم إليكم سادتي أتشفع  
إن كان غيري بالوصول ممتعا (١)  
أو كان ذنبي صدني عن بابكم  
جودوا بطيب وصالكم لميم  
عظفا على صب كئيب مغرم  
ولقد كلفت بحبيكم وجمالكم  
ياهل عسى يوما أفوز بقربكم  
يا من يلوم أخا الجمال جهالة

فعمساكم بعد الهوى أن ترجعوا  
فأنا الذي بحياتكم أتقنع  
جهلا ففغفوكم أجل وأوسع  
في كل وقت بالوصول يروع  
حلف (٢) السهاد أخا القطيعة توجع  
قدما وإني بالجمال مولع  
إن كان يسعدني عسى أو يرفع  
ماذ يفيد اللوم من لا يسمع

(١) في المخطوط (متمتع) وهو خطأ

(٢) في المخطوط (خلف وأظن الصواب ما أثبت).

[ بحر الطويل ]

كافية ألفاء :

[ بواو بخديك الشريفين أحلف ] (١)  
بأنك أعلى الخلق [طرا] (٢) وأشرف  
وأنت قبل الخلق والرسل أول  
وأنت بعد الحق في النعت توصف  
وأنت للدين القويم هديتنا  
وعرفتنا ما لم نكن قط نعرف  
هدانا إلى الإسلام فخرا ومنة  
وألزمتنا فرضا علينا مكلف  
وأقرن في التوحيد إسمك باسمه  
فأنت مع الإسلام الشريف مشرف  
مقامك محمود وأنت محمد  
وقدرك مرفوع وذاتك ألطف  
قوامك فتان وطرفك أدعج  
وخذك وردى وقذك أهيف  
وشعرك زنجي ، وخالك عنبر  
وخذك منه الورد ينجي ويقطف  
وصدرك مملوء من العلم والحيا  
وأنت رحيم محسن متعطف  
ودست بساط النور والنور ساطع  
وأعطيت من فخر النبوة رفر

---

(١) كتب هكذا في المخطوط : بواوين خديك الشريفان أحلف

واعتقد أن الصواب هو ما أثبتته .

(٢) زيادة اقتضاها الوزن الموسيقي .

بنورك ضياء العرش والأرض والسماء  
وشمس الضحى من نور وجهك تكسف

وصليت في جمع السماوات كلهم  
إماما ورسلا الله خلقك صُفِّفُ

ألا يا رسول الله يا خير مرسل  
أنت بأمر الله تقضى وتنصف

ويشافعا في الخلق وقت معادهم  
إذا زلت الأقدام والنار تزحف

أجرنا من النيران يا أشرف الورى  
فذنبي عظيم والجوارح ترجف

عليك صلاة الله يا خير خلقه  
صلاة تفوق الخلق ثم تضاعف

قافية القاف

[ بحر الطويل ]

جلا كاسها والليل داج فأشرقاً  
وشق سناها فيه للصبح مشرقاً  
وأبدت لنا شمسا وبدرا وأنجما  
ونور هلال دون شك تحققاً  
ورقت وراقت فهي روح وراحنا  
ونور ولا نار وإن كان أحرقاً  
سرى سرها في الراح قدما فعرفها  
له نفحات أسكرت من تنشقا  
لقد خفيت لطفاً عن الغير أن ترى  
سوى بارق منها غدا متألقاً  
مسرة نفس ما تُجمع همها  
وهمت به للوهم إلا تفرقا  
فتشرح صدرا قد غدا متجرحاً  
وتفرح قلبا حسنه متحرقاً  
وللحسن منها إن سرت فيه رونق  
كأن به ماء الحياة ترقرقاً  
شفاء الحياة أمن من الضنى  
خلاص الآلام تغنى عن الرقى  
وتصلح ما قد كان في الحال فاسداً  
وتفتح ما قد كان من قبل أغلقاً  
فمن لم ينل منها نصيباً فإنه  
وإن عد من أهل السعادة في شقا  
ومن لم يغب سكرها بها عن وجوده  
ويغنى فلا يحظى بحظ من البقا

ومن ذاقها طابت حقيقتا حياته  
وصار بها من مائر الناس أذوقا  
وقد شهد الغورى فى تحت ملكه  
لها أنها أعلى من الملك مرتقى  
ويشهد أيضا أنها قد تقدست  
من الإثم بل فى شربها عنده اللقا  
فأبدع نظما فى معانى صفاتها  
يفوق عقودا زانها الدر نسقا  
وما قال فيها غير حق ، وكل ذا  
فمن بعض ما فيها ومن ذاق صدقا  
ويكفيه منها حظ صادق حبا  
وحب نداماها وهم حبه النقا  
فيصبح فى أوصافهم متغزلا  
ويضحى إليهم مستهما وينسقا

قافية القاف : [ بحر الكامل ]

كيف الضلال وصبح وجهك مشرق  
وشذاك في الأكوان مسك يعبق  
يامن إذا سفرت محاسن وجهه  
ظلت به حدق الحدائق تحدق  
وإذا العزول رأى جمالك قال لي  
عجبا لقلبك كيف لا يتحرق  
يا أسى قلب دمه يتدفق  
والنوم منه مطلق ومطلق  
لم ترك الأتراك بعد جاهها  
حسنا لمخلوق سواها تخلق  
إن نوزلوا كانوا أسود عويكة  
أو غوزلوا كانوا بلورا أشرقوا  
جذبوا الفتى إلى قسى حواجب  
من تحتها نبيل اللواظ أرقوا  
نشروا (١) الشعور فكل قد منهم  
لذن عليه من المهابة صنجق  
لي منهم رشأ إذا قابلته  
كادت لواظ سحره أن تنطق  
عانقته وضممته فكأنه  
من ساعدى مطوق وممنطق

(١) في الأصل نثروا ، وأعتقد أن الصواب ما أثبتته .

[ بحر البسيط ]

قافية الكاف

في قص الأظفار

في قص الأظفار يوم السبت آكله  
تيدو وفيما يليه تذهب البركة  
وعالم فاضل يبدو يتلوهما  
وإن يكن في ثلاثي فاحذر الهلكة  
ويورث السوء في الأخلاق أربعها  
وفي الخميس الهدى يأتي لمن سلكه  
والعلم والمال زيدا في عروبته (١)  
عن النبي رويناه فاقتفوا نسكه



قافية اللام : [ بحر الطويل ]

شربنا وساقينا من البدر أجل  
مداما بها عنا المكاره ترحل  
هي الشمس تجلى والحباب كواكب  
يدور بها بدر منير مكمل  
قديمة عهد قد صفت وطغت  
بها سكرت أرواحنا قبل تسبل  
مدامة توحيد بكاسات ذكرها  
على القلب أسرار اللطائف تنزل  
فيغني بها سكرنا حبيب متم  
وتحيي بطيب الوصل والسعد مقبل  
فأرواحنا هامت سروراً بسرها  
وأشباحنا في جنة الشعر تدخل  
ولو ذاقها يوما عبوس (١) مقطب  
لكان يبشر وجهه يتهلل  
ولو أن ذا شح على الماء ذاقها  
لعاد سخيا بالذي كان يبخل  
وقد سألوني وصفها فأجبتهم  
بوصف خير وهو في القول مجمل  
من الملك أشهى وهو أحلى حقيقة  
وغيرى منه قول ذا ليس يقبل  
حياة سرور راح أنسى قداحه  
بها قد صفا للنفس عيش ومنهل

(١) في الأصل عبوساً مقطباً ، والصواب - فيما أعتقد ما أثبتته ، لأن « عبوس » فاعل

« ذاق » ومقطب صفة مرفوعة .

ويسكر أهل الحى منها غيرها  
إذا أنفحت فيه كما فاح مندل  
فهل أسكرتنا أم سكرنا بلحظ من  
سقاها ، وسكران الهوى ليس يعقل  
بنا فعلت ألفاظه ولحاظه  
ومرشفه العذب الشهى المقبل  
بطلعة حسن تخجل الشمس فى الضحى  
ومن خده الورد المصرح يخجل  
ولولم يكن فى مرشفيه مزاجها  
لما كان منها السكر للصب يشمل  
ولولا شمول السكر ما كان مسكر  
من القول ما عن باعث الحب يرسل  
فأبدعت نظما قد حكى در نظمه  
به فيه أو فى راحه أتغزل  
فالنفس للغورى فى النفس نشوة  
بما فيه من سكرة الشرب يحصل  
بريقه (١) كم ناصب الراح موردا  
فكم عاشق مضى به يتعلل  
بديع معانيه بحسن بيانه  
به شرح وجدى مجمل ومفصل  
فله رب الحمد والشكر والثنا  
إله علينا لم يزل يتفضل  
وصل بقسليم على خير مرسل  
به يصل الراجى إلى ما يؤمل  
وآل وأصحاب كرام وكثرة  
بلاغاية مادامت السحب تهمل

(١) فى الأصل : بريقه ، وأظن الصواب ما أثبتته .

من نغم الكردانية

[ الوافر ]

أيا من جفنه سهر الليالى  
 لقد ضيعت أيا ما بلهو  
 أما نخشى الإله (١) إذا قدمت  
 وتشهد أرجل عن ما تمشت  
 أيا مولى الموالى أنت أعلم (٢)  
 إلهى بالنبي وآل بيت  
 أزل عن عبدك الغورى ذنوبا  
 وصل على النبي الهاشمى  
 إلهى أنت يا مولى الموالى  
 فلا تقطع رجانا يا إلهى  
 وقلب عن فعال الخير خالى  
 ولعب ثم يأتيك ارتحال  
 بأفعال التبيح وبالخال  
 وأيد إذ أتى وقت السؤال  
 بأمر الخلق هذا شرح حالى  
 وأصحاب هم خير الرجال  
 إذا يأتيك (٣) يوم الانفصال  
 نبى صادق أهل الكمال (٤)  
 رحيم أنت حى ذو الجلال  
 عبيدك يرتجوا (٥) خير النوال

- (١) رواية الأزهر : أما تخشى إلهما ليس يخشى عليه سوء فعلك فى الحال  
 (٢) رواية الأزهر : أيا مولى المولى أنت حسبى وتعلم كل ما فى شرح حال  
 (٣) رواية الأزهر : أزل عن عبدك الغورى ذنباً ومحضى بفضلك فى المال  
 (٤) رواية الأزهر : وصل على رسولاك ما أتانا بوعد صادق فى كل حال  
 (٥) فى مخطوطة الأزهر = عبيدك يرتجى ، واللغة الفصحى عبيدك يرتجون .

قافية اللام :

[ بحر الرمل ]

أهل حب الله أرباب الكمال  
دهشوا مذشهدوا ذاك السنأ  
فتغالوا ولهاً في حبه  
لم يخافوا النار لما طلبوا  
لا ولا يوماً أرادوا جنة  
بل أرادوا وجه من في ملكه  
هكذا من كان صبا مخلصا  
أصبح الغورى يرجو به  
أوقى الملك ولكن قد غدا  
ماله من كل حال غيره  
مستغيثا برسول الله في  
صلوات الله مع تسليمه  
ولآل ولأصحاب دواما

عابنوا نور جلال وجمال  
في فناء شامخ بالمجد عال  
ما رضوا شيئا سوى طيب الوصال  
قربه كلا ولا يخطر ببال  
وحريرا في نعيم ودلال  
قد تعالى عن شبيه ومثال  
ليس يرضى غير قرب واتصال  
ربه يسعفه في كل حال  
عبد رب متعال ذى الجلال  
فلهدا بسواه لا يزال  
هذه الدنيا وفي يوم المآل  
لرسول الله من غير زوال  
ماحكى في مدحه نظم اللآل

[ بحر الكامل ]

قافية الميم :

مازلت توليه الجميل وتنعم  
أبدا عليه دائماً تتكرم  
يرجوه منك وفوق ما يتوهم  
إحسانك الوافي وفضلك أعظم  
حتى السعادة ثغرها متبسم  
إذ أنت أعلى يا كريم وأعلم  
في الدين والدنيا بعقد ينظم  
حتى به ركن الهدى لا يهدم  
أيضا عبادك أنت فيهم تحكم  
فيهم إليك فأنت حقا أرحم  
فغسى من الأخرى غدا لا يحرم  
هو في الوجود على الجميع تقدم  
أضحت لظى وسعيرها يتضرم  
أن نحتمي مما نخاف وتسلم  
صلوا عليه أجمعون وسلموا

يارب عبد من عبيدك مسلم  
عودته باللطف منك ولم تزل  
وغمرته بالفضل حتى نال ما  
وفتحت باب الجود منك عليه من  
أنت الذي أعطيته كل المنى  
فاحسن له تدبير ما أوليته  
وأجمع له بين المصالح كلها  
ألف له بين القلوب جميعها  
فالملك ملكك والرعية كلهم  
وفقيرك الغورى فوض أمره  
فسعادة الدنيا بجودك نالها  
بشفاعة الهادى النبى المصطفى  
شفعه فينا يا رحيم إذا  
هو سيد الرسل الذى نرجو به  
هو ذخرننا وملاذنا وشفيعنا

قافية الميم :

[ بحر السريع ]

إن شيت تدعى فقيها قوم  
وأجعل على الرأس طيلسانا  
واجلس مع القوم في صباح  
إلا زعيق ونفض كم  
وإن رأوا الوقف يأكلوه  
ثيابهم بيض من رياء  
فإن ترى في الورى فقيها  
فطول الكم ثم عمم  
وأعقد على المنكين واختم (١)  
لا بالبخارى ولا بمسلم  
ولا ، ولم لا ؟ ولا نسلم  
وقد نسوا العلم والمعلم  
وقلبهم بالسواد مظلم  
فصح وقل ياسلام سلم

(١) هكذا والبيت مكسور .

[ بحر السريع ]

قافية الميم :

مشرقة ( في ) جنح ليل بهيم (١)	خلى الذى أطلع شمس الضحى
(ذلك تقدير العزيز العليم) (٢)	وقدر الخال على خده
فسنا منه عذاب أليم	بدر ظننا وجهه جنة
إلى بخيل وهو عندى كريم	ينفر كالريم ألا فاعجبوا
يهز للعشاق قدا قديم	لما انحنى حاجبه وانثى
بدالى المعوج والمستقيم	عجبت من فرط دلالى وهو
وخلنى إني بحالى عليم	داوى حبيبي طيب الهوى
تنقله واللحظ منه سقيم	فخصره واه وأردافه

---

(١) فى المخطوط ( خلى الذى أطلع شمس الضحى مشرقة على جنح ليل بهيم )  
وهذه الصورة ينكسر الوزن ، والصحيح ما أثبتته فى النص ( فى ) مكان ( على ) .  
(٢) تفسين من القرآن الكريم ( يس : ٣٨ )

قافية الميم :

[ بحر السريع ]

صيرني في كل واد أهيم	من حظ قلبي منه هاء وميم
مبجل يشبه ريم الفلا	يا طول شوقي من بخيل كريم
لن أنسى من وحشة ليلة	خلفني أرعى دجاها البهيم ؟
نظرت في أنجمها نظرة	فقال لي جسمي : إني سقيم
شوقا لمن لست على حبه	بصالح لكن قلبي كليم
لا أسمع اللوم على حبه	أعوذ بالله السميع العليم
في شرعة الحب وحكم الأسي	دمع تروج وعذاب مقيم
وثابت الود لربع الحشا	يأتي إلى بقلب سليم



[ بحر السريع ]

كافية الميم :

فجنتي حر الشفا في النعيم  
فلا تسأل عن حال هذا الجميم

ياروضة تجنى بالحاظها  
كن كيف شيت وعن مهجتي

[ مجزوء الرمل ]

قافية الميم :

أنت توأب رحيم	يا إلهى أنت بر
من خطاياى سقيم	يا إلهى إن قلبى
سالف منى قديم	يا إلهى إن ذنبى
فلك الفضل الجسيم	يا إلهى فاعف عنى
للبريات عظيم	يا إلهى لك جود
لى قدرت حكيم	يا إلهى أنت فيما
حيث لاينغى حيم	أحسن التدبير فيه
فهو شيطان رحيم	وبه أرغم عدوى
منك حلماً يا حلیم	عبدك الغورى يرجو
صنه من نار الجحيم	يا إلهى فاعف عنه
ذنبه فهو عظيم	لا تؤاخذ ثم فاغفر
لصراط مستقيم	واهده منك بلطف
بالثنا منى مقيم	يا إلهى لك حمد
مخلص فيه سليم	ولك الشكر وقلبي
مايبدأ وجه وسيم	وعلى الهادى صلاة
مازها عقد تنظيم	مع سلام يتوالى
أنت فتاح عليم	لا إله إلا الله
أنت رزاق كريم	لا إله إلا الله

قافية النون

[ الوافر ]

شكوت إلى الحبيب أنين قلبي      إذا جن الظلام فقال : إنا  
فقلت له أظنك غير راض      بما كابدت فيه فقال : إنا  
فقلت له أترضى أن قلبي      بأثقال الغرام فقال : إنا

قافية النون

[ الكامل ]

بالملك أنعم ربنا الرحمن  
وهو الكريم المنعم المنان  
فله علينا الشكر حق واجب  
يقضيه قلب صادق ولسان  
فالحمد لله الذي إحسانه  
أبدا يليه بفضلته إحسان  
فبملك مصر وما حواه خصنا  
وبنصره ثبتت لنا الأركان  
قد كان موهبة بلا سعى ولا  
فيه تجرد صارم وستان  
ولقد كفانا الله في أعدائنا  
فضلا فبعد صعوبة قد هانوا  
وعلى محبتنا بصدق أجمعت  
أمرأؤنا في الملك والأعيان  
والآن قام على السداد نظامنا  
ولنا العساكر طاعة قد دانوا  
صاروا على قلب سليم واحد  
في حيننا فكأنهم بنيان  
فالله يحفظهم ويجمع شملهم  
ففؤادنا من حبرهم ملآن  
والله يجعلهم جميعاً قرة  
لعيوننا فلنا هم الإخوان  
فكأنهم للملك سور حافظ  
فعلى مصالحه هم الأعوان  
والعسكر المنصور كل مخلص  
في نصحننا وجميعهم فرسان

ما منهم من فيه شك عندنا  
فيقال في التعريف ذاك فلان  
فكبيرهم كآب وواسطهم أخ  
ولنا الأصاغر كلهم ولدان  
لكن مقرب المراتب تقتضى  
تمييزها فلكل طور شان  
فالله ينصرهم فإن الملك من  
تمكينهم يزداد أو يزدان  
والله بالتأييد منه يمدهم  
فبهم يقوم بمجدنا البرهان  
ويزيدهم فى العالمين زيادة  
من فضله ما بعدها نقصان  
والأشرف الغورى ناظمها بهم  
وبحسن طاعتهم له سلطان  
والله يجمعنا على نور الهدى  
حتى يزيد لنا به إيمان  
ثم الصلاة على النبي وآله  
مادام يتلى الذكر والقرآن

[ مجزوء الرمل ]

قافية النون :

من أياديه الحسان	أنعم الله علينا
ورعانا بامتنان	وكفانا كل سوء
مسعنى في كل شأن	هو ربى هو حسبي
إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله	لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله
نسألك الغفران (١)	يا حنان يا منان
هى من كيد الزمان	كم حمانا من خطوب
منه وهو المستعان	جادلى بالملك منا
لا بسيف وسان	لا بحرب وقتال
دائماً في كل آن	فله الحمد وشكر
فوق ما فى النفس كان	حمد رب نال منه
أخلص الشكر ودان	عبده الغورى من قد
مستقيماً للجنان	يسأل الله طريقاً
منه فى دار الهوان	مع إسعاف بلطف
بهما الملك يسان	مع حفظ مع نصر
شافع يوم الأمان	بنى قرشى
شرف الكون وزان	هاشمى عربى
وسلام وحنان	فعليه الله صلى

(١) اليتان على غير وزن القصيرة ويغلب على الظن أنها من ترديد الحضور في المجلس

للذكر أو دخلا في جملة القصيدة •

[ مجزوء الرمل ]

قافيه الهاء :

غير من نرجو رضاه	مالنا عز وجاه
مالنا مولى سواه	فله نحن عبيد
يبلغ العبد مناه	وبفيض الجود منه
كل ما نخشى أذاه	فإليه نلتجى من
بابه في الكون تاهوا	إن قوما أعرضوا عن
بثناء الله فاهوا	ولقد فاز أناس
سجدت منهم جباه	وله في جوف ليل
منهم فاهت شفاه	وتهليل وذكر
يرتجى منه رضاه	عبده الغورى أضحى
بيد الفضل حواه	فقد استرعاه ملكا
مشكل زاد عناه	وبلاء ملك صعب
أمد العمر مداه	وعليه الشكر حق
عونه فيما ابتلاه	يسأل الله تعالى
يسأل الله غناه	وعن الناس جميعاً
قد تفضل ورعاه	إنه رب كريم
حسبه الله كفاه	من عليه قد توكل

[ بحر الكامل ]

قافية الواو :

ذكر الحمى وجدا وكان قد ارعوى

صب على عرش الغرام قد استوى

تجرى مدامعه ويخفق قلبه

مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى

وإذا تألف بارق من بارق

فهناك ينشر من هواه ماطوى

هل في أحاديث الهوى من صادق

ماضل شرع للغرام وما غوى

وبمهجتي رشأ أطالت عدلى

فيه الملام وقد حوى ما قد حوى

قالوا : أفيه سوى رشاقة قد

وفتور عينيه وهل موتى سوى

ما أبصرته الشمس إلا واكتست

نجلا ولا غضن نقا إلا التوى

يروى الأراك محاسنا عن ثغره

يا طيب ما نقل الأراك وما روى



من نظم المقام الشريف موشح من نغم التشاورك :

عبد الله في ملك الله  
ظل الله في أرض الله  
عون الله في خلق الله  
يوتجى غفران الله  
يا ربى عبدك بالباب  
يا ربى عند الأعتاب  
يا ربى أنت الوهاب  
فانظر لى بصفى (١) الله  
يا ربى اجبر كسرى  
يا ربى اغنى (٢) فقرى  
يا ربى اشرح (٣) صدرى  
بالمادى حبيب الله  
يا ربى أنت المغنى  
يا ربى خذنى منى  
يا ربى واجعل عنى  
يؤخذ سرى سر الله  
يا ربى أنت المقصود  
يا ربى اعمر (٤) بالجلود  
يا ربى عبدك موعود  
فانجز لى برسول الله  
عبدك الغورى ضعيف

(١) فى منتخب الأزهر : بصفا

(٢) واعنى : الأزهر ،

(٣) واشرح : الأزهر ،

(٤) فاغمر : الأزهر

بالذنوب قلبو (١) نحيف  
يرجو عفوكم بالطيف  
أنت حسبي يا الله

وله من نغم التشاورك أدام الله يامه :

يا لطيف يا كافي

يا حفيظ يا شافي

يا كريم يا وافي

يا رحيم يا الله

أنت منتهى قصدى

أنت مجزل الرغد

يا رعوف بالعبد

يا رحيم يا الله

أنت ربى الأعلى

قد غمرتنى (١) فضلا

ربى فاجمع الشمالا

بالمراد يا الله

قد رجوت من ربى

عفوه عن الذنب

كى يدوم فى قلبى

أنسه بذكر الله

أنت سيدى سدى

فى الخطوب خذ بيدي

واكفنى ذوى الحسد

كيف شيت يا الله

أنت خالق الأمم

أنت باعث الرمم

أنت مسيغ النعم

العباد يا الله  
( ربي أعطني أملي (١)  
منك واعف عن زللي  
فالفؤاد في وجل  
من جلال عز الله )  
إن عبدك الغورى (٢)  
لا يميل للجيور  
دمعه على الفور  
قد جرى لخوف الله  
فهو خاضع باكى  
من ذنوبه شاكى  
حفه بأملك  
يحفظونه يا الله

(١) ما بين المقوفين زيادة في منتخب الأزهر ،

(٢) ضبطت في المنتخب بالضم « الغورى » ؛

وله من نغم الشاورك :

ياموفق العبد  
للدعاء والحمد  
منك أرتجى قصدى  
غير قاطع وصله  
ربى من بك اعتصما  
فهو فى عزيز حمى  
قد نجا وقد سلما  
من طوارق الغفله  
يا كريم خذ بيدى  
فالدعاء من عددى  
لا يزال من مددى  
فى جزيل فضل الله  
غورى يرتجى الرحمة  
من متم النعمة  
وهو يسأل العصمه  
من شرار خلق الله

وله من نغم الحسيني خلد الله ملكه :

ربنا آدم نعما  
جدت لي بها كرمها  
فيضها حكي ديمها  
بالغمام منهلها  
منك سيدى مددى  
أنت دائماً سندی  
أنت آخذ بيدي  
فاستعاني بالله

ملكنا وعسكره  
أنت لي تدبره  
بالذي تقدره

لي فأكفي بالله  
ربي فاحفظ الأمرا  
فيه لي مع الوزرا  
والصدور والكبرا

والجنود بالحملة  
غورى عبدك الخاضع  
منك في المنى طامع  
كن لشملة جامع  
ربي فاغفر الزله

من نغم المحير :

جل ربنا عزرا  
كم أنالنا عزرا  
فاعتزازنا يعزى

كله بفضل الله

من منامنا أيقظنا  
بعد فرقنا أجمعنا  
بالفناء حققنا

كى نفوز بالوصله

كى نشاهد الحقا

لا نلابس الخلقا

عل نحوز السبقا

والرضا معاً جملة

( أنت ربنا المعطى (١)

كل ذنبنا غطى

أت منجد المخطى

أنت غافر الزله )

غورى عبدك المخلص

كل ذنبه محص

من لظى له خلاص

فى الجنان فانظر له

من نغم المصرية

جل من لنا وهيا  
ملك مصر واكتبا  
حيث سبب السببا  
في قديم علم الله  
ملك مصر نعمته  
والوجود رحمته  
لا نطاق نقمته  
حسنا الحلليم الله  
شكرنا له وجبا  
إذ قضى لنا أربا  
فهو خصنا وجبا  
نعمة بفضل الله  
(ما لنا سوى كرمه (١)  
والدخول في حرمه  
بالسؤال من نعمه  
جمله وعفو الله )  
غورى قد قضى وطره  
فهو حامد شكره  
سائل هدى البررة  
إنهم هداة الله  
رب زده من نعمك  
بالنجاة من نقمك  
والدخول في حرمك  
فهو لائذ بالله

( لا إله إلا الله محمد رسول الله (٢) )

(١) زيادة بالأزهر .

(٢) زيادة بالأزهر .



من نغم العشاق العجم :

ربنا و مولانا  
ذو الجلال أولانا  
نعما وولانا  
ملكه بفضل الله  
ربنا له الحمد  
جل ما له ند  
منه يرتجى العبد  
فوزه بعفو الله  
ربنا له الشكر  
ما لعرفه نكر  
ليس يبلغ الفكر  
ذاته تعالى الله  
(رب فاكشف الغمة (١)  
أنت واسع الرحمة  
أنت مسبغ النعمة  
في جميع خلق الله )  
غورى عبده راجى  
منه كل إبهاج  
وهو لائذ لاجى  
دائما بركن الله  
وهو يسأل المولى  
أن يغفر له فضلا  
بالكتاب إذ يتلى  
إنه كلام الله (٢)

(١) زيادة بالأزهر .

(٢) زيادة بالأزهر .

وله من نغم الأبوسايك عز نصره:

يا مدبر الكون  
أنت دائماً عوني  
نحن منك في الصون  
من منيع حوز الله  
أنت دائم باقى  
أنت حافظ واقى  
فاتح لإغلاق  
دهرنا بفتح الله  
منك كل إسعاف  
بالمنى وإتحاف  
دائماً بالطفاف  
أدركت بعون الله  
فاكفى مهماتى  
دافعا ملماتى  
من جميع ما يأتى  
فى الزمان يا الله  
غورى مكتف بالله  
مرتض بحكم الله  
خاضع لأمر الله  
واقف بباب الله  
منه يرتجى لطفنا  
طاب ورده الأصفى  
فهو دائماً يكفى  
ما أهمه بالله

من نغم القاهرية :

جل مبدع الخلق  
في الوجود بالحق  
فهو فاتق الرتق  
من حجاب غيب الله  
فيض جوده جارى  
سر نوره سارى  
فهو خالق بارى  
موجد بلا علة  
فالقلوب تهواه  
رغبة وتخشاه  
لا إله إلا هو  
واحد بلا قله  
باعتبار أسراره  
في بديع آثاره  
يهتدى بأنواره  
كل مؤمن بالله  
غورى يرتجى منه  
حسن عفو عنه  
ربى بالهدى صنه  
وأعطه المنى كله  
واكفه مهماته  
في جميع حالاته  
وامح كل زلاته  
يا كريم يا الله

من نعم العراق :

جل ربنا البارى  
لطفه بنا سارى  
عند حكمه الحارى  
فى جميع خلق الله  
ما قضى به يمضى  
ميرما بلا نقض  
وهو دائما يرضى  
مؤمننا أطاع الله  
من أطاعه يغنم  
من يخافه يسلم  
فاللييب من يفهم (١)  
أنه فقير الله  
(يا إلهنا أجمعنا  
بالقلوب واسمعنا  
فى الدعاء وانفعنا  
بالعضات يا الله) (٢)  
غورى عبدك السائل  
منك وافر نائل  
وهو ليس بالمائل  
عن هدى طريق الله  
فاهده إلى الحق  
ثابتا على الصدق  
واغنه عن الخلق  
كلهم بفضل الله

(١) يعلم : أزهر .

(٢) زيادة بالأزهر .

من نغم الروضة :

يا ممتن النعم  
من يدبك في القدم  
فاض جدول الكرم  
يا جواد يا الله  
ما نريد منك حصل  
والنوال منك وصل  
للذى دعا وسأل  
راجيا لفضل الله  
مصر قد حوت منه  
روضة به تزهو  
حيث تكتسى عنه  
من زهورها حله  
قد صفا لنا الورد  
سيدي لك الحمد  
والمراد و القصد  
صبح عطاء الله  
غورى شاكر الرب  
باللسان و القلب  
خائف من الذنب  
لائد بعفو الله  
يا رحيم سبره  
فى الأمور واستره  
يا عظيم وانصره  
والصعب يسرله

من نغم العزل :

يا مدبر الملك  
أجرى فيه لى فلك  
أنت صاحب الملك  
للوجود بالجملة  
من سواك لى ذخر  
ذلتى له فخر  
منه يهبط الصخر  
خشية لعز الله  
كن ميسرا أمرى  
لى وشارحا صدرى  
لى ورافعا ذكرى  
بامثال أمر الله  
ما استعنت إلا بك  
واقفا على بابك  
سائلا بأحبابك  
حسن لطف صنع الله  
قانسوه فى الترك  
من ذنوبه يبكى  
كالنضار فى السبك  
نظمه لذكر الله  
كن لعبدك الغورى  
عند منتهى الدور  
محافظا من الجور  
عن هدى صراط الله

من نغم الكردانية :

يا مدبر الخلق  
يا مقسم الرزق  
كل ذلك بالحق  
في قديم علم الله  
ما أراد مولانا  
في وجودنا كانا  
من دنا ومن بانا  
فهو عن مراد الله  
من يكن بما يقضى  
في وجوده يرضى  
لم يرد له نقضا  
ذلك عنه يرضى الله  
نحن ياأخا الفهم  
تحت قبضة الحكم  
في تصرف العلم  
كيف ما أراد الله  
غورى فوض الأمرا  
للذى له أجرى  
هاهنا وفي الأخرى  
خاضعا لحكم الله

من نغم النوى :

الأكؤس	نشوة	ياغزالا	بلحظه	ينشى
الأنفسى	مضمهر	طفح السكر	فى الهوى	يفشى
ما جمده	سائل	دمع عيني	فيك	مدرار
ما خمد	جمرها	وبقلبي	من الجوى	نار
الكمده	فيزيد	ويشير	الغرام	تذكار
أحبس	لم	وأنا	فيك	تابع
يسى	لى	وعذولى	فى النصح	بالغش
طاب	العشق	إن أكن	للوصل	لم أدرك
الصواب	أصيب	لست	من فى	جبه
اضطراب	عندى	سكن	الحال	أنت أو
الملمس	موجع	غير	أن القناد	فى فريشى
الخنديس	دجى	كيف	فيه	تقلب
يصعب	برؤه	بفؤادى	من الهوى	داء
ترهب	بيضاها	هو	فيما	يقال
ما ألبوا	طال	ووشانى	فى الحب	أعداء
مستانس	مشى	حوت	فى أى	مسلك
بالأنفسى	فيك	ما أرى	مسعفا	له أرشى
الخرج	ويزول	هل	ينال	المحب
الفرج	بصباح	فليالى	الكروب	موصولة
الدعج	بسيوف	غير	أن الدماء	مطلوله
الكنس	من	من ظباء	ليست	من الوحش
الجركس	من	ما بلانى	من أعين	الحبش
ألحافظه	سيف	كلى	ظهى	أغر



ألفاظه	ویدر السلوك	شہنا	در
حفاظه	نظم غوری	یزینہ	المعنی
نسی	کم من الناس	ماہرینشی	مثله
الأقدس	وملاذی مولای	ذی العرش	والحمی

من نغم النيريز :

يا مسير القلب (١)  
في منازل القرب  
أنت رافع الحجب  
عن قلوب أهل الله  
في الجلال قد قاموا  
ليلهم وما ناموا  
في الجمال قد هاموا  
لذة بحب الله  
أيقنوا وما ارتابوا  
أملوا وما خابوا  
عن وجودهم غابوا  
في سنا وجود الله  
( وردهم هو الصافي (٢)  
رهم لهم كافي  
حظهم هو الوافي  
من جزيل فضل الله  
غورى صادق الحب  
في أولئك الحزب  
لمهم على الزب  
هم أعز خلق الله  
باعتقاده يرجو  
أنه غدا ينجو  
سادة لهم نوح  
موصل لباب الله )

(١) مسير : الأزهر ورواية أخرى في المجموعة نفسها : يامسير القلب .  
(٢) زيادة في الأزهر .

أنت سيدى حسبي  
فاعف رب عن ذنبي  
وأعطني منى قلبي  
من رضاك يا الله  
كيف يبلغ الفهم  
أو يصور الوهم  
أو يحقق العلم  
منتهى صفات الله  
جل عظموا شانه  
مجوده سبحانه  
واسألوه غفرانه  
فهو غافر الزله  
أنت مانع معطى  
للعباد بالقسط  
غورى عبدك المخطى  
من يسأل الوصله  
أنت ربه صنه  
وارض بالهدى عنه  
واقبل الدعاء منه  
فهو واثق بالله

رب أنت مستولى

بغيتي ومأمولى

منك أرنجى سولى

يا كريم يا الله

يا كريم فاغفر لى

زلتى وقلدر لى

توبة ويسر لى

ما أريد يا الله

يا عليم دبرنا

فى الأمور وانصرنا

واهدنا وبصرنا

بالصواب يا الله

سيدى ومعبودى

مطلبى ومقصودى

قد نعمت بالجود

والعطاء يا الله

غورى برتجى الرحمة

وهو يسأل العصمة

فهو منك فى نعمه

ناها بفضل الله

وهو حامد شاكر

غير جاحد ناكر

وهو مخلص ذاكر

خاشع لذكر الله

يا معاشر القوم  
لا حياة في النوم  
بالصلاة والصوم  
ظاب عيش أهل الله  
أعرضوا عن الفاني  
واغتنوا بعرفان  
فاغتلوا كطوفان  
دمعهم من المقله  
هم عبيد مولاهم  
ربهم تولاهم  
عن سواه أخلاهم  
مجزلا لهم فضله  
غورى مخلص الحب  
بالضمير والقلب  
منه في ذوى القرب  
إنهم رجال الله  
رب لا تخيه  
رب لا تجبه  
منك رب طيبه  
بالرضا بقسم الله

سر أحمد الهادي  
ظاهر السنابادي  
فأمداحه زادي  
في توجيهي لله  
فهو شافع الأمة  
وهو كاشف الغمه  
كل من له همه  
يهتدي به لله  
مصطفى رسول الله  
مصطفى حبيب الله  
فهو نور عرش الله  
وهو خير خلق الله  
غوري منه قد أمل  
عز جاهه الأكل  
مع قبول ما يعمل  
خالصا لوجه الله

يا مكور الشمس

يا مفضل الإنس

يا مكمل النفس

يا مكرم الجملة

رب خير فتاح

جد بالمصطفى الماحي

وقتي لإصلاح

يا حكيم يا الله

عن فئاني أفنيني

واجمعي لتبقيني

حتى لا ترى عيني

في الأكوان إلا الله

كن بمقصدي وافي

واحفظني بالطفاف

يا لطيف يا كافي

يا حفيظ يا الله

غوري عبدك التائب

من ذنوبه آيب

أنت للمني واهب

والذنوب والوصلة

يا حنان يا منان  
أنت ربّي يا رحمان  
يا إله العالمين  
أنت خير الراحمين  
أنت خير الوارثين  
أنت حسبي يا الله  
يا وهاب يا عليم  
أنت ثواب رحيم  
غوري عبدك مذنب  
منك عفوا يطلب  
أنت نعم المطلب  
يا حلیم يا الله  
اغفر لي ذنبي  
واستر لي عيبي  
يا إله العالمين  
يا حلیم يا الله  
يا ديان يا غفور  
أنت حسبي يا شكور  
سلطاننا فانظر له  
ذنوبه فاغفر له  
وملكه أصلح له  
يا حلیم يا الله



قال الغورى :

عز مولانا لاإله إلا هو المحسن البر الرحيم  
الكريم المنعم الرحمان ذو الفضل العظيم  
فهو ربى وهو حسبي وهو من لطفه قد حفنى

من سالف العهد القديم

لى ملك مصر قد تفضل ورعى والذى عاند الحق العظم رميم  
وأنا الغورى عبد خاضع أسأل الرحمن جنات النعيم  
ونظاى محكم ينبنى بجميع للصراط المستقيم  
وعلى الهادى صلاة وسلام ماهمى الغيث العميم .

## المعهد ينعى

الدكتور محمد مرسى الخولى

ينعى معهد المخطوطات إلى الأمة العربية والإسلامية وإلى كل العاملين في خدمة التراث العربى ، واحداً من أبنائه الذين ساهموا في توطيد أركانه الأستاذ الدكتور محمد مرسى الخولى ، وكيل المعهد وأحد العلماء المشهود لهم في ميدان التعريف بالمخطوطات وتحقيقها ، مع التراضع الجم والخلق النبيل ، وقد توفاه الله فجر يوم السبت ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٨٢ .

ولد الفقيه في ١٩٣٠/٩/٢١ في محافظة المنوفية ، وتخرج في كلية اللغة العربية سنة ١٩٥٨ ، وعمل مصححاً بدار المعارف لمدة سنتين (١٩٥٨ - ١٩٥٩) ثم التحق للعمل في معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٥٩ وتدرج في مناصبه حتى صار وكيلاً للمعهد . وقد أسهم خلال فترة عمله في المعهد إسهامات جليلة في فهرست مقتنياته وأشرف على إخراج مجلة المعهد وحرر « نشرة أخبار التراث العربى » منذ صدورهما ، وقدم الكثير من العون والمشورة للباحثين والعلماء المترددين على المعهد فساعدتهم على اختيار موضوعات لرسائلهم ووجههم إلى تقصى الكثير من المصادر التى تهتم دراساتهم وكلهم يذكرون له ذلك بالشكر فى مقدمات كتبهم .

والفقيه حاصل على الشهادة العالية لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٥٨ .

وفى سنة ١٩٦٩ نال درجة الماجستير بتقدير ممتاز من كلية اللغة العربية وكان موضوعها « أبو الفتح البسى - حياته وشعره » ، وقد طبعت فى عام ١٩٨٠ وصدرت عن مؤسسة الأندلس فى بيروت .

وأحرز درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية وكان موضوع الرسالة : « أدب السمر عند العرب حتى القرن الرابع الهجري ، مع تحقيق كتاب الجليس والأنيس الكافي للمعاني بن زكريا النهرواني » .  
وصدر الجزء الأول من الكتاب في بيروت في أوائل سنة ١٩٨٢ .

### إنتاجه العلمي

حقق الفقيه ونشر الكتب التالية من التراث العربي :

١ - كتاب بهجة المجالس للإمام ابن عبد البر القرطبي ، ونشرته وزارة الثقافة بالقاهرة ، وهو في أربعة أجزاء في مجلدين ، الأول سنة ١٩٦٤ ، والثاني سنة ١٩٦٧ .

٢ - أخبار الأذكىاء ، لأبي الفرج ابن الجوزي ونشرته مؤسسة الأهرام عام ١٩٧٠ .

٣ - محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ، لمحيي الدين بن عربي ونشرته مؤسسة الأهرام أيضاً عام ١٩٧١ .

٤ - كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، لأبي عثمان الجاحظ ، نشر دار الاعتصام بالقاهرة عام ١٩٧٢ ، وطبع طبعة ثانية في مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٨١ .

٥ - مقالات وبحوث ونصوص خاصة بالتراث العربي في مجلة معهد المخطوطات العربية وبعض المجلات المتخصصة .

وله تحت الطبع الكتب التالية :

١ - سناحات دمي القصر في مطارحات بني العصر ، لأبي المعالي الطالوي ، وهو شاعر عربي عاش بين سوريا ومصر والقسطنطينية في القرن العاشر الهجري ، وتنشره المكتبة العتيقة بثونس .

# الفهرس

صفحة

- ١ - المخطوطات العربية في العالم  
بعض مخطوطات مكتبة الأوقاف بطرابلس ليبيا ،  
للدكتور محمد مرسى الحولى ... .. ١١-٣
- ٢ - التعريف بالمخطوطات  
ملاحظات حول تأليف خطط المقریزی ،  
للأستاذ أيمن فؤاد سيد ... .. ٣٦-١٣
- الأقوال القديمة في حكم النقل من الكتب القديمة ،  
لأبي الحسن البقاعي ،  
تحقيق الدكتور محمد مرسى الحولى ... .. ٩٦-٣٧
- ديوان السلطان الغورى  
دراسة وتحقيق الأستاذ شعبان محمد مرسى ... .. ١٧٨-١٧٧
- ٣ - المعهد ينعى الدكتور محمد مرسى الحولى ... .. ١٧٨-١٧٧